
www.ibtesama.com
نسخة معالجة
وصفحات فردية
60
مجلة الابتسامة
روايات مصرية للجيب
فانتازيا
د. أحمد خالد توفيق
وحدى مع لافكرافت
www.ibtesama.com

مقـــدمـة

(عبير عبد الرحمن) مخلوقة عادية إلى حد غير مسبوق .. إلى حد يخطف الأبصار .. إنها الشخص الذى نتمنى ألا نكونه حين نتحدث عن أنفسنا .. الشخص الذى لا يتفوق فى الجمـــال أو القــوة أو البراعة أو الذكاء .. لكن لابد من شىء ما يميزها وإلا لعاشت وماتت دون أن نسمع عنها ..

ثمة أبطال قصص يمتازون بالقوة .. ثمة أبطال يمتازون بالذكاء الخارق .. ثمـــة أبطال يمتازون بالحـــظ العاثر .. ثمـــة أبطال يمتازون بأنهم لا يمتازون بشىء .. ويبدو أن (عبير) من هذه الفئة الأخيرة ..

فى نقطة واحدة تفوقت (عبير) علينا .. إنها تملك ذلك الخيال الشاسع بحجم المحيط ، وتملك فــكرة عــن أكثر العوالم الخيالية التى أبدعتها قريحة الأدباء والفنانين والسينمائيين ومصممى الألعاب ، كما أنها امتلكت ذلك الجهاز الغريب الذى يولد الأحلام ، والذى لا يصلح إلا لها فى الواقع ، وبهذا غدت أول مخلوق بشرى يستطيع ارتياد تلك العوالم الساحرة ، بل يشارك فيها كذلك ..

ومن البديهى أن (عبير) صارت تنتمى لــ (فانتازيا) أكثر مما تنتمى لعالمنا .. وبالنسبة لها لم تعد مشاكل الواقع إلا منغصات تتخلل فترات الحلم الأكبر الدائم فى (فانتازيا) ...

إن (عبير) كريمة النفس ، لهذا لن تتركنا هنا وحدنا مع واقع لا يتغير .. سوف تصحبنا فى رحلتها . سوف نعبر معها عالم المرآة الساحر مثلما فعلت (أليس) يومًا ما .. سوف تقابل ــ ونحن معها ــ العبقرى المخيف (دستويفسكى) وتجلس فى مجلس واحد مع (أرشميدس) و(الخوارزمى) و(أينشتاين) .. ســوف يشرح لها (فرويد) نظرياته وهو يدخــن غليونه الذى أصابه بالسرطان .. ســوف تمشى مع (أفلاطون) فى بستان مدرسته .. ستحلق مع (طرزان) فوق قمم الأشجار السامقة ، وتثب مع الرجــل العنكبوت مــن فــوق ناطحــات الســحاب .. ربمــا تخدعهــا الســاحرة الشــريرة كى تلتهــم التفــاحة ، أو تهــدد المقصــلة عنقهــا ، ولربمــا تضــع قدميهــا على تربة المريــخ الحمــراء ، أو تغطــس فى كــرة أعمــاق الدكتــور (بيب) .. ربما تفتح قبر (توت عنخ آمون) أو تحارب جحافل المغــول ..

إنها (فانتازيا) حيث القواعد الوحيدة للعبة هى : لا قواعد .. وحيث الحدود الوحيدة لرقعة الخيال هى : لا حدود ..

إن جرس المحطة يدق ، والبخار يتصاعد من مدخنة القطار .. والمرشد الملول الذى يرشدها فى أنحـــاء (فانتازيا) يقف نافد الصبر على باب القطار .. فلنتخذ مقاعدنا بسرعة ..

لقد حـــان موعد قصة أخرى .. هذه المرة تقرؤها على شاشة جهاز الإنترنت ..



الأطفال سيظلون يخشون الظلام ، ولسوف يرتجف الرجال دومًا ـ بعقلهم الحساس لمؤثرات موروثة قديمة ـ عندما يفكرون فى العوالم السرية الغامضة الموجودة خلف النجوم ، أو المحيطة بكوكبنا ، فى أبعاد مشئومة لا يراها سوى الموتى والمجانين .

هـ . ب. لافكرافت

1 ـ عن الرعب والمرعبين ..

الوحــدة ..

الوحدة والظلام ..

الوحدة والظلام والظلال ..

الوحدة والظلام والظلال وخيال لم يتهمه أحد بالخمول ..

الوحدة والظلام والظلال وخيــال لم يتهمه أحــد بالخمول .. و(عبير) وحدها فى غرفة النوم المظلمة ..

ابنتها نائمة .. لكن ماذا يعرف الأطفال على كل حال ؟.. هذا يجعل الخطر مضاعفًا .. أن ما لا يقــدر عليك يقــدر حتمًا على طفلتك ..

عقارب الساعة الفوسفورية تقول إنها الرابعة صباحًا ... يبدو كأن دهرًا يفصلها عن الفجر ، وذلك الرجل الذى يمشى فى الشارع لا تسمع إلا صوت خطواته .. كيف وجــد الشجاعة ليفعلها ؟.. ربما السبب الوحيد لكونه غير خائف هو ...

هو أنه مصدر خوف !

* * *

المشكلة هى أن التيار الكهربى مقطوع ..

لا يمكن أن تبدد الظلام ، وقد نفدت الشمعة منذ ساعة لكنها لم تجد الجرأة كى تتسلل إلى الخارج بحثًا عن أخــرى ، لأن اليد الباردة الملساء ستقبض على معصمها وقتها حتمًا ..

الوحــدة ..

الوحدة والظلام ..

الوحدة والظلام والظلال ..

الوحدة والظلام والظلال وخيال لم يتهمه أحد بالخمول ..

لا تدرى كيف غلبها تعب اليوم ، ولا تدرى متى نامت .. لكنها وجدت أنها تركب قطار فانتازيا وأن المرشد جوارها .. سرها هذا كثيرًا وأدركت أن هذه من المرات التى تدخل فيها فانتازيا بجهد ذاتى من دون تكنولوجيا ..

ــ « مسرورة لرؤيتك يا مرشد .. »

ــ « وأنا كذلك .. وإن كنت أقــدر أننى أنقذتك مــن خيالك المجنون .. »

ـ « لقد فررت من خيال لأغيب فى خيال ..لكنى على الأقل أقبل هذا العالم .. الخوف هنا له طعم ساحر .. »

القطار يتحرك وسط الجبال والهضاب .. الغريب أن مزاجها يتناسب مع ما تراه ، لأن السماء كانت مكفهرة ومن حين لآخر يشق السماء لسان من البرق .. ثم يدوى الرعد .. كانت تمقت البرق وتحمد الله على أنه نادر كل الندرة فى مصر .. هذا الفتق الذى يحدث فى السماء يشعرها بعجز مطلق أمام سطوة الطبيعة .. لا دور لها ولا أمل إلا أن يتجاهلها البرق مرة أخرى على الأقل ..

لو عاشت فى سيبيريا لانتحرت حتمًا ..

من فوق الجبال ترى القلاع .. قلاعًا بسيطة مضحكة تذكرك بقصص الأطفال حيث تعيش الساحرات اللاتى لا يكففن عن سلق أرجل الوطاويط وعيون الموتى من أجل صنع شراب يحيلك إلى ضفدع ..

كل قلعة يقود لها طريق متعرج مخيف على جانبيه هاوية ..

قالت للمرشد :

ـ « أين نحن ؟ »

قال فى لا مبالاة :

ـ « نحن فى عالم الرعب القوطى .. »

ـ « قوطى ؟ »

وابتسمت برغم الجو الكئيب .. هذه الكلمة هى المصطلح الذى تستخدمه أمها للكلام عن الطماطم .. وقد بدت لها غريبة هنا ..

قال وقد أدرك أنها لم تفهم :

ـ « القوطية هى نمط من البناء كالذى ترينه فى هذه القلاع .. منذ كتبت قصة قلعة (أترونتو) المرعبة ارتبطت هذه المبانى بالقصص المخيفة حيث تعيش الأشباح والشياطين ، وحيث يعيش الناس من ذوى النفوس المريضة المعقدة .. كلمة (قوطى) تعنى نوعًا بأكمله من الأدب .. لقد انقرض ولم يعد أحد يمارسه ، لكن عشاقه كثيرون .. من رواد هذا الأدب (إدجار آلان بو) و(لافكرافت) و(هوراس والبول) و(مارى شيللى) و(أن راتكليف) .. و ... و ... »

ـ « ولماذا يهتم المرء بهذه القصص الرهيبة ؟ »

قال باسمًا :

ــ « السـؤال قديم قـدم البشرية ذاتها .. الحقيقة هى أن الإنسان يحب أن يخيف نفسه .. لا شك فى هذا .. تأملى الأطفال الملتفين حول جداتهم يطلبون سماع المزيد من القصص عن الغولة و(أبو رجل مسلوخة) ... دعى أى شخص يسمع طرفًا من قصة مُرعبة وراقبى اهتمامه .. أن سماع قصص الرعب يشعرنا باطمئنان داخلى على أنفسنا ، فنحن نرتاد أفظع مخاوفنا لكننا نعرف أننا سنظل سالمين .. يمكنك الاستمتاع بتخيل مواجهتك لعفريت على سلم دارك ، لكنك لا تتصورين لن يحدث هذا فى الواقع .. »

ــ « هل تتصور أن المرء يحب تعذيب نفسه ؟ »

ــ « لماذا لا نصدق هذه الحقيقة ؟.. أعتقد أن الناس جميعًا تهوى ذلك .. كان (ماسوتش) يستفز زملاءه فى المدرسة حتى يضربوه ليتلذذ بذلك ، وإليه نسبت لفظة (ماسوشية) ... هناك أشخاص يمزقون جسدهم بالمدى .. أما الغالبية العظمى منا فتجد لذة فى تذكر كم أساء لها الآخرون .. فكرى فى الليالى التى سهرت فيهـا تفكرين كم أنك حساسـة وكم أن صديقتك شريرة عندما قالت لك كذا وكذا .. الغالبية العظمى تتلذذ بركوب القطار

الأفعوانى فى الملاهى لتتعذب بممارسة فكرة السقوط من أعلى .. الغالبية العظمى تقرأ بنهم أخبار الحوادث وتعشق أفلام الرعب .. كل هذه صور من الماسوشية .. على كل حال الماسوشية طبع نسائى نوعًا .. السادية طبع ذكرى .. ويقال أن الزواج السعيد هو الذى يتم بين رجل سادى وامرأة ماسوشية .. لا أعنى بهذا أن يجلدها بالسياط ويغرس الإبر تحت أظفارها .. أعنى أنه يقسو عليها ويثير قلقها ، وهى تتلذذ لا شعوريًا بهذا .. »

ــ « هل تعنى أن السادية مقصورة على الرجال ؟ »

ــ « ليس تمامًا .. هناك نساء ساديات يعرفهن التاريخ جيدًا .. الرجال كذلك يحبون قراءة قصص الرعب .. »

كان القطار الآن يمر قرب بلدة مظلمة تركزت العواصف فوقها .. غيوم ... قلاع .. بيوت كئيبة حالكة السواد ..

فقط كانت هناك لافتة كبيرة كتب عليها بخط قوطى (آرخام) ...

قالت محاولة نطق الاسم :

ــ « آرخام .. »

قال مصححًا :

ـ « للدقة هو (آركام) .. لكن رنين كلمة (آرخام) مخيف فى العربية .. على فكرة هناك دار نشر كبرى تحمل نفس الاسم الآن ، تخصصت فى قصص الرعب التى كتبها .. سوف تجدين مؤلفين عديدين اقتبسوا هذا الاسم ، وكانت هناك مصحة آرخام فى قصص الرجل الوطواط .. »

ـ « كتبها ؟... هو ؟ »

ـ « إنه أعظم كاتب رعب فى القرن العشرين ، ولعله الأعظم على الإطلاق ... (لافكرافت) .. نحن الآن نمر جوار مملكته .. فهل ترغبين ؟ »

شعرت بقشعريرة شديدة .. هذا الجو بارد يجعلك ترتجف ..

لكنه كان محقًّا بصدد اللذة الماسوشية ..

لقد قبلت أن تنزل هنا !

2 ـ فى آرخـــام ..

ماذا تريد من هنا ؟ .. ما المطلوب منها ؟

لا تعرف حقًّا .. المغامرة هى التى تبدأ نفسها ..

كانت هناك أبواب عملاقة تنفتح ، وحراس يقفـــون فى الظل فلا ترى وجوههم .. رائحة رطوبة قوية مع رائحة عطن طحلبى . نباح كلاب من بعيد .. صوت سلاسل غليظة ..

لا صوت سوى صوت الكعوب التى تقرع الأرض ، وصوت الأقفال الثقيلة التى تنفتح . صوت دقات قلبها ..

لابد أنها اجتازت ستة أبواب ، ثم جاء دور درج حلزونى ينحدر لأسفل . درج خطر يذكرك بالسلالم الخلفية للبيوت العتيقة ، أو ذلك السلم فى مصنع الحديد والصلب الذى يمر فوق قيزان الحديد الملتهب .. سوف تسقط فى القيزان بسهولة تامة ، لكن لا يوجد قيزان لحسن الحظ ..

درجات لا أول لها ولا آخـــر .. السلم يئن كأنه موشك على الانهيار . مياه تتساقط مـــن أعلى .. هناك حارس يتقدمها حاملاً كشافًا ...

ثم تمشى فى ممر رطب طويل .. فئران تركض هنا وهناك ...

على الجانبين ترى زنزانات موصدة .. زنزانات مبطنة من الداخل كالتى تراها فى السينما .. وترى ممرضين يضعون أقفاصًا على رءوسهم ويحملون العصى الغليظة . هذه الأقفاص مهمتها حمايتهم من الضربات ..

مرحبًا بكم فى مصحة آرخام للجنون المرضى ...

كل نزيل هنا لابد أنه قتل اثنين أو التهم لسان امرأة أو شوى طفلاً .... هذا أقل واجب كما يقولون ..

فى هذا العصر كانت هناك طريقة واحدة للتعامل مع المجانين هى توجيه الضربات لهم حتى تتحطم عظامهم ، أو رشهم بالماء البارد بلا توقف . الحالات الميئوس منها كانوا يستأصلون الفص الجبهى فى أمخاخها .. هكذا يصير المريض نباتًا يتنفس فحسب ...

كانت تشعر بأنها موشكة على الاختناق .. عصاب الأماكن المغلقة يوشك على قتلها . هذا المكان يحمل مظهر الكابوس .. إضاءة الكابوس .. رائحة الكابوس ...

تمشى وسط الممرات وتحاول ألا تنظر عبر طاقات الأبواب ..

فى النهاية وجدت أن هناك بابًا مواربًا .. الحارس يقف ويسلط الكشاف للداخل . لا ترى وجه الحارس لأن الضوء مسلط عليها هى ..

تريد أن تسأله عما ينتظرها بالداخل .. ماذا يتوقع منها أن تفعل ؟

لكنها وجدت نفسها تخطو .. الزنزانة مظلمة ما عدا طاقة فى السقف تسقط شعاعًا من نور يزيد الرؤية صعوبة ، ويلقى بظلال من الجبهة والوجنات . تعرف طريقة الإضاءة الكابوسية القادمة من أعلى هذه كما فى فيلم الأب الروحى ..

غرفة مبطنة كأنها منجدة بالمراتب ..

هناك فى مركز الغرفة فى مركز الضـــوء القـــادم من أعلى ، يوجد مكتب صغير .. مكتب مبطن هو الآخر حتى لا يهشم المرء رأسه ضربًا فيه. وهناك مقعد ورجل جالس .. جواره مجموعة هائلة من المجلدات العملاقة ..

دنت من الرجل أكثر فأكثر ..

هــذه الملامح الشــاحبة الكئيبة . النظرة التعســة الضائعة المذعورة . تعرف هذا الشكل لأنها رأته مرارًا من قبل فى صور فوتوغرافية ..

هذا هو لافكرافت نفسه ..

لافكرافت العظيم .. سيد كُتاب الرعب بعد إدجار آلان بــو . لم تدر من قبل إنه سجين فى آرخام .

* * *

دنت منه أكثر فرأت أنه يمسك بقلم حبــر من طراز عتيق ، يدسه فى المحبرة ، ثم بيد ترتجف يكتب ، وهو يتلو ما يكتبه بصوت هامس :

ـ « ربما كان عدد كبير من رؤانا الليلية لا يزيد على انعكاسات لخبرات صحونا كما قال فرويد ، فإن جزءًا معينًا يظل بطبيعته الأثيرية ممتنعًا عــن التفسير .. ويعطينا تأثيــره المقلق المثير لمحة خاطفة عن عالم عقلى لا يقل أهمية عن عالمنا المادى ، ولكن يفصلنا عنه جدار لا يمكن اجتيازه .. »

كانت يده ترتجف وهو يدون هذه الكلمات ... ثم أغمض عينه وراح يهمس :

ـ « كتولو .. كتولو ! »

ومـد يده إلى دورق كبيـر مـن مادة شـبيهة بالبلاسـتيك (حتى لا يؤذى نفسه بالزجاج أو المعدن) وجرع جرعة كبيرة من الماء ، لكنه لم يتماسك أكثر وهوى رأسه على المنضدة .. التف عنقه فراح يصدر شخيرًا ..

الحقيقة أنه كاد يقتلها ذعرًا . نهضت وتناولت الدورق لتسكب باقى ما فيه من ماء على رأسه ..

فتح عينه ببطء وقال :

ـ « إنهم الآحاد القدامى .. كائنات تتوارى هناك فى أعمق أعماق المحيط بانتظار اللحظة المناسبة . فى لحظة بعينها سوف يتحطـم الحاجز وينهض هـؤلاء .. كاهنهم الأكبـر كتولو ... وعندها سيكون علينا أن نموت أو نجن .. نحن فى غفلة لهذا نحن نعيش ونتزاوج ونلهو .. لو كنا نعـرف واحدًا بالمئة من الحقيقة .. واحدًا بالمئة فقط لانفجر الدم من أنوفنا .. »

ثم راح يردد الأسماء الرهيبة :

ـ « يوج سوثوث المنفى للنجوم .. حاصتور .. نيارلاثوتيب المخيف .. العزيف . العزيف .. »

مررت يدها بين خصلات شعره المبتلة بالعرق والماء وقالت :

ـ « منذ متى دخلت مصحة آرخام ؟.. آرخام أصلاً لا وجود لها سوى فى كتاباتك .. »

ـ « عالمى حقيقى أكثر من العالم نفسه. عالم كتولو وأزوث والعزيف وآرخـــام ويوجوسوث . لقـــد عاش هـــذا العالم طويلاً بعدي. لهذا أنت فى عالمى الآن .. مع لافكرافت يزول الحاجز بين ما هو حقيقى وما هو خيال الكاتب .. »

ثم تحسس بطنه وقال متأوهًا :

ـ « التاريخ الرسمى لى هـــو أننى توفيت بسرطان القولون عام 1937 .. أى فى سن السابعة والأربعين .. »

ثم أمسك بيدها .. اشمأزت من يده المتجمدة الراجفة والمبللة بعرق بارد. خطر لها أن هذا الرجل ليس على ما يرام . إلى متى

يكون علينا أن نكتشف أن هؤلاء العباقرة غرباء الأطوار وربما إلى الجنون أقرب ؟ لقد غدا هذا مملاً بالفعل .

قال وهو ينهض :

ــ « تعالى أقودك فى عالمى .. رحلة سياحية قصيرة .. »

قالت راجفة :

ــ « لا يمكن مغادرة هذا المكان .. إنه شبيه بسجن الكاتراز .. »

ــ « لا توجد سجون فى عالم الخيال .. يمكننا أن ندخل أى مكان ونرى أى شىء .. »

ومشى معها إلى فتحة فى الجدار لم ترها من قبل ....

خطوة واحدة ووجدت نفسها فى عالم لافكرافت الرهيب ..

* * *

قال لها لافكرافت :

ــ « هنـــاك مفاتيح عــدة لعــالمى .. أولاً هنـــاك الشخصية الحساسة المنعــزلة عــن العــالم والتى تعكف على قراءة كتب السحر القديمة .. »

ـ « هذا معروف .. هـذا الرجل فى كل قصصك .. ويقول البعض إنه أنت .. »

ـ « هناك كذلك عنصر المعرفة المحرمة .. كل أبطال قصصى يعرفـون سرًا يفضى بهم للجنـون . باختصار كل أدبى تكرار لأسطورة برومثيوس الذى وجـد سر النـار ودفع ثمنًا فادحًا . هناك كذلك عنصر مهم آخـر هـو الكيانات العملاقة أو الآحاد القدامى الذين يسيطرون على مصائرنا ويعرفـون كل شىء ، لكنهم ينتظرون لحظة الخروج .. »

ـ « مثل كتولو .. »

ـ « لابد أن كل واحـد منا يحمل ذنبًا قديمًا بسبب خطيئة ارتكبها أجداده وعليه دفع ثمنها .. الوزر يورث فى عالمى . أنت بريئة نقية لكنك قد تجدين أن عليك دفع ثمن خطيئة ارتكبها جد لك فى عصر الرومان . وكل أبطالى محكوم عليهم بشكل قدرى .. كل واحد منهم يعرف نهايته ويتحرك نحوها بلا حيلة .. »

كانت عبير تدرك هذه التيمات ..

لو أنها بطلة من قصـص لافكرافت ، فلسوف تكون مهتمة بالآثار .. تكتشف سرًا مرعبًا عن أجدادها ليس لها أن تعرفه ..

تعرف عن كتاب نيكرونوميكون وإينوخ وتعرف ما عرفه كراولى ودى .. تقترب من الجنــون .. فى النهــاية تكتشف أنها أصلاً ليست بشرية بل أجدادها جاءوا من تحت المحيط .. تنتحر .. وهكذا ..

كان هناك كتاب من جلود الموتى كتبت عليه رموز غريبة .. عرفت على الفور أنه كتاب أسماء الموتى (نيكرونوميكون) الذى عرف لافكرافت قصته من الستر كراولى ..

كراولى الشيطان الذى أنشأ مذهب الثليما . هذا الرجل عرف الكثير من الأسرار بالتأكيد .. ثم نقلها إلى سارة .. سارة تزوجت من لافكرافت وأخبرته بالكثير ..

جو نيويوركى كئيب مطير ...

البرق يشق عنان السماء ...

تقف مع لافكرافت وسط الأمواج المتلاطمة عند مدينة مبهمة فى المحيط .. مدينة مــن صــخور عملاقة لا تنتمى لشىء فى عالمنا .. زوايا البناية غريبــة لا تنتمى للهندســة الإقليدية التى نعرفها ..

الرؤية نفسـها غريبـة ، ودرجات السلم توشـك أن تكون عمودية ..

البخار يعمى العيون ..

ثم فى أحـد الأبنية باب هائل .. لا تعـرف أن كان بالطول أم العرض عليه رسم يشبه إنسانًا برأس أخطبوط ..

يبدو أن الباب يدور حول محوره ببطء .. والغريب أن الظلام يخرج من الداخل ليملأ الكون .. هنـاك شيء جيلاتينى عملاق يتحرك بالداخل منذرًا بالخروج . بل هو موشك على الخروج فعلاً. نظرت إلى لافكرافت فى رعب فرأت عينيه متسعتين ونظرة الجنون لا شك فيها ، ثم همس :

ـ « بير آدونى ألويم .. إدوناى ساباوث .. ميتراتون .. »

سحابة خضراء عفنة الرائحة لا تطاق ..

ممسات تتحرك ببطء نحو الباب ..

عاد لافكرافت يكرر :

ـ « كتولو .. »

أدركت فى هلع أنه يتلو صلاة غامضى ، وأن هذا الشىء القادم هو كتولو نفسه .. الكيان القديم المرعب الذى تكلم عنه لافكرافت فى معظم قصصه . يوشك افتتانه بالأمر أن يكون أسطوريًّا ، وكان يقول لصاحب له أن حناجرنا الأرضية لا تقدر على نطق الاسم الذى يجب أن ينطق كأنك تسعل مع تثبيت اللسان إلى سقف الفم !.. ويرى بعض النقاد الغربيين أن الكائن مستوحى من شخصية (الكراكين) الوحش النائم فى حفرة فى أعماق المحيط فى قصيدة لـ (تنيسون Tennyson) . إنه الوحش الأخطبوطى المكلف بالتهام الحسناء أندروميدا والتى سينقذها (برسيوس) فى آخر لحظة بالاستعانة برأس ميدوسا .

أغمضت عينيها وهتفت :

ـ « أرجوك أن نبتعد .. أنا مذعورة فعلاً .. لو خرج هذا الشىء ! »

قال موافقًا :

ـ « هو سيخرج فعلاً .. سوف تنجح الطقوس التى يؤديها أحدهم فى عودته ، وعندها لن يظل العالم كما عرفناه .. »

3 ـ وحدى مع لافكرافت ..

هذه المرة كانت تتوارى معــه وســط أشجار قصيرة ، وهما يجثمان على بِطنيهما محبوسى الأنفاس ..

هنـــاك قضــيب سكك حديدية ومساحة مــن الخراب وظــلام دامس ...

كادت تنهض لكنـــه أرغمها بيد حازمة على أن تظل متوارية معه وسط الأشجار ، وعنـــدما دققت النظر أكثر رأت أن هناك مسيرة بالمشاعل عن بعد .. مسيرة مشاعل لجمع غفير لا تعرف من هو ، وهو منظر يذكرها بأفــلام الجنوب الأمريكى عنــدما كـــان أهالى القــرية يفتشون عــن عبد آبق ، فهــم يخرجون بالمشاعل جميعًا وقــد تأبط كل منهم ذراع جـــاره وهم يمسحون المنطقة كلها ..

يبدو واضحًا أنها ولافكرافت هما هدف البحث ..

كادت تتكلم لكنه كتم فمها بكفه لتصمت ..

الآن ترى بوضوح هؤلاء الباحثين فتكتم صرخة هلع شنيعة .. هؤلاء ليسوا بشرًا .. هــذه كائنات تقــف بالضبط بين البشر والأسماك أو الكائنات البحرية .. لو تخيلت أنك وضعت الجمبرى والكابوريا والســمك وقناديل البحر مع البشر فى خــلاط ، فماذا يخرج لك ؟

ثم الرائحة .. الرائحة الزفرة اللعينة ....

المسيرة تتحرك ببطء .. وصوتهم مخيف كأنه زئير مكتوم .. واضح بالتقريب مصير من سيجدونه ..

قال لافكرافت همسًا :

ـ « هــذه هى (إينزماوث) التى سقط الظل فوقها منذ عقد (أوبيد مارش) صفقة مع الشيطان .. »

هنا ديانة وثنية واحدة هى ديانة (داجون) .. ومن يدخل هذه البلدة ويمض ليلته فيها ، فلن يخرج أبدًا .. دخول إينزماوث هو كدخول الحمام .. ليس كالخروج منه !

قالت له :

ـ « لنبتعد من هنا أرجوك .. »

لارلياهل سيهويل فلجانجل دا لا .... يها نتلى ...

أمسك بيدها وراحا يزحفان وسـط النباتات ... وكـان يلهث بلا توقف فأدركت أن لياقته معدومة ..

* * *

تمشى معه فى شارع مظلم من شوارع مدينة لا تعرف ما هى . يقع الشارع عبر نهر أسـود المياه كأن دخـان المصانع القريبة يحجب عنه الشمس للأبد ، تحيط به مستودعات بنيت من قرميد ، ويعبره جسر من الحجر الأسـود . وكانت ميـاه النهر خبيثة الرائحة ، ثم هنـاك ممر مبلط بحجر الإسكافى يقـود إلى شارع (دوسيه) .

أين هو شارع دوسيه ؟... لا أحـد يعرف .. لافكرافت نفسه قال إنه نسى مكان الشارع ..

ومن نافذة فى طابق بناية متهالكة سمعت صوت كمان ..

صوت غريب لهذا الكمان .. يبعث نغمات لا تصدق أن الكمان قادر على بعثها . مصراع النافذة يهتز بقوة ويضرب النافذة . ثم يتهشم الزجاج فتطير أوراق ..

الكمان بذلك العواء الشيطانى يرج أعصابها رجًّا ..

حاولت سد أذنيها بكفيها بلا جدوى فصاح لافكرافت :

ــ « هذه موسيقا الشيطان نفسه .. موسيقا (إريك زان) .. لا جدوى من محاولة عدم السماع .. »

تمر معه أمام بيت فاخر يبدو أنه لأحد الأثرياء ..

هنا رأت رجلاً يقف على العتبة .. يصب على نفسه الكيروسين م يشعل ثقابًا .. تصاعد اللهب بينما الرجل يصرخ ويتلوى لمًا ... مشهد لا يصدق ..

سألت لافكرافت فى رعب :

ــ « هل هذا راهب بوذى يحتج على حرب فيتنام أم ماذا ؟ »

قال لافكرافت :

ــ « هذا هو سير أرثر جيرمين الذى اكتشف حقيقة أسلافه .. »

ــ « وما حقيقة أسلافه ؟ »

ــ « هذه قصة طويلة ربما أحكيها لك يومًا ما .. »

كانا يبتعدان عن اللهب والجذوة العملاقة التى صارت رمادًا ...

الآن يمران جوار مقبرة عتيقة تنمو فوقها نباتات متسلقة ويزحف الطحلب على شواهد قبورها ..

هنا رأت رجلاً يركع على ركبتــه جــوار الشاهد وهو يصر ويلطم خده بينما هنـــاك سماعة هاتف على أذنه .. السلك يمتد عبر العشب إلى داخل المقبرة ..

وسمعت من سماعة الهاتف صوت ضحكات مجنونة .. ضحكات لا تصدر إلا من شياطين ...

نظرت فى دهشة إلى لافكرافت فقال :

ــ « ذلك المجنون الذى يجسر على وضع سماعة هاتف داخل قبــر .. ما الذى يســمعه ؟.. أصــوات المــوتى طبعًا .. هـذه هى تجربة وارين وصديقه راندولف كارتر المشئومة . أن كارتر لا يصـــدق ما يسمعه ويبـــدو أنه سيجن من الرعـــب مثل معظم أبطالى .. »

قالت عبير فى دهشة :

ــ « راندولف كارتر .. أريك زان .. هذه الأسماء الغريبة ..

ــ « بل هى أسماء مــن نيوإنجلند .. مــن بروفيدانس .. ولسوف تجدينها تعطى قصصى طابعًا فريدًا .. (راندولف كارتر) و(تشارلز دكستر وارد) و(إينزماوث) و(ريتشارد بيكمان) و(آرثر جيرمين) .. »

كان هذا حقيقيًا .. رنين اسم أبطال قصصه مميز فعلاً ..

كان يحــب بروفيدانس ــ نيوإنجلند فعــلاً ، بينما عاش فى نيويورك ألعن فترات حياته .. كان يكره كل شىء فى نيويورك : المبانى ـ الناس .. الوجوه .. زوجته ..

الآن ترى رجلاً يفتح أحــد القبور ، ويغيب بالداخل ثم يخرج وهو يحمــل دورقًا زجاجيًا ويضحك ضحكة شيطانية .. ينظر للسماء ويهتف :

ــ « أمـــلاح المـــوتى !.. يى ناش يوج سوتوث هى إيجيب ثروداح ! »

هنا يشق البرق الظلام وترتج الأرض ...

ومن قبر ما ترتفع يد راجفـــة .. تشق التربة محاولة التمسك بشىء ..

قال لافكرافت :

ـ « هـذا هو جوزيف كوروين .. كوروين السـاحر الشرير الذى عـرف كيـف يخاطب أزوث . لقـد استحوذ على جسـد (تشارلز دكستر وارد) .. »

ثم أمسك بيدها ليفرا من هذا المشهد الرهيب ..

الحق أن عبيـر رأت فى تلك الليـلة السـوداء ألف كابوس وكابوس .. لم تتصور قط أن هناك عقلاً قـادرًا على خلق هـذه العوالم المخيفة . كانت تعرف أن إدجـار آلان بو شاعر عبقرى خلق عوالم كابوسية كاملة ، لكن من الواضح أن عوالم لافكرافت أكثر تعقيدًا ....

كانت الأرض تنفتح فتبـرز أعـداد من مجلة لها غلاف مميز هى مجلة (حكايات غريبة) .. يبـدو أن كـل هـذه القصص كانت مخبـأة فى أعـداد هـذه المجلة ، وكانت متنـاثرة .. وكان لافكرافت يؤمن أنها سـوف تزول من العالم بعـد رحيله . ما حدث هو أن تلميذه أوجست ديرليث قام بجمع هذه القصص وافتتح دار نشر اسمها (آرخام) تخصصت فى طبع مؤلفات لافكرافت ..

من كل مجلـد كانت تعيش قصــة جديدة .... رأت اختراعات مجنونة تقود أصحابها للخبال . رأت موتى يعيشون بعد وفاتهم بعشرات الأعوام عن طريق اكتشـــاف طبى رهيب . رأت باكمان الرسام الذى يرسم الغيــلان ونكتشف أنه كان يرسم ما يوجد فى قبو بيته ..

كانت ترتجف وتصرخ بلا توقف ..

فقدت الوعى للحظات ثم فتحت عينيها ببطء ..

العالم عندما يكون مشوشًا مهتزًا ثم يستعيد وضوحه ، كأن أحدهم لامس العدسة ليضبط البؤرة ..

هذه هى الزنزانة المبطنة ، وهذا هو لافكرافت بقميص أبيض مفتوح الكمين يجلس إلى المنضدة . ويشرب جرعة ماء أخرى ، ثم يدون سطورًا فى المجلد الضخم ..

تنظر لوجهه الشاحب وتتذكر أبطال قصصه الممتقعين السقيمين الذين أدمنــوا المهدئات .. لا شك أنه كـان يضع نفسه فى قلب كل قصة منها .. كما يصف البطل ونحن نعرف جيدًا أنه يصف نفسه : « شاب أسمر نحيل بادى العصبية والقلق . شديد الذكاء لكنه غريب الأطوار بسبب اهتمامه بدراســة الظواهر الغريبة ،

وكان يعتبر نفسه (شديد الحساسية نحو الخوارق) . ولما كان منطويًا صار خفيًا بالنسبة لمجتمعنا ، فلم يعد يعرفه سوى عدد قليل من الناس .. »

فى قصصه تقابل دومًا ذلك الشاب الحساس غريب الأطوار الذى يعيش منفردًا ويتصل بسر مخيف غامض ، ينكشف لراوى القصة فيجن أو يهرب ويقضى حياته مذعورًا .

لما أدرك أنها أفاقت قال لها :

ـ « أرجو أن تكون الجولة قد راقت لك .. »

ـ « يصعب أن أقول هذا .. ولكن .... »

تلاعب شبح ابتسامة على وجهه الصارم الكئيب وقال :

ـ « لقد انتهت رحلتك فى عالم لافكرافت .. »

ـ « بهذه السرعة ؟ »

ـ « لا تتوقعى أن تمضى حياتك هنا .. أرجو أن ترحلى الآن لأننى مشغول فعلاً .. »

ثم أمسك بورقة مطوية وناولها لها وقال :

ــ « هــذه الورقة تلخص كل شيء عني .. أرجو أن تقرئيها عندما تعودين .. »

نهضت شاعرة بخيبة الأمل .. هذه المرة كان العرض قصيرًا أكثر من اللازم .. اتجهت لبــاب الزنزانة . انفتح الباب وظهر ممرض غليظ العضلات يحمل هراوة ويضع رأســه في قفص .. نظر وراء كتفها في حذر ليتأكد من أن لافكرافت بعيــد ثم سمح لها بالمرور ..

وسمعت صوت الرتاج الثقيل يوصد ..

قالت للرجل الغليظ :

ــ « هو أديب واهــن لا يقــدر على ضرب ذبابة .. لا أعرف سر هذا الحذر .. »

قال في شيء من خوف :

ــ « أنت لا تعرفين القوة التي يمنحها الجنون .. أضيفي لهذا أن هــذا السجين مخيف . يعــرف أســرارًا لا نعرفهــا ويتصل بالشياطين . إنني على استعداد أن أواجــه عشرة مجانين ضخام الجثة على مواجهة هذا الرجل الواهن كعقــرب .. »

هزت رأسها باسمة .. لم يخل كلامه من منطق ..

الآن بدأت رحلة العودة بالعكس عبر الممرات الطويلة المظلمة الرطبة .. ممرات تم استخراجها من عوالم الكابوس بلا شك ..

لم تحـاول أن تنظر عبـر القضبان الحديدية التى تغلق نوافذ الأبواب ، فخلفهـا يوجـد أعتى العـذاب البشرى ، كأنما هـذه نوافذ على سقر . تسمع الصراخ .. لم تسمع من قبل صراخ روح لكن هذه هى الحقيقة .. تسمع الرءوس وهى تتهشم على القضبان ...

بيت الأرواح المعذبة .. هذا هو الاسم المناسب للمكان ..

ولهذا شعرت براحة عظمى عندما وقفت فى العراء ترقب هذه المصحة الرهيبة ، بينما البرق يمزق صفحة السماء ثم يدوى الرعد ...

المطر .. المطر الذى يغسل كل أدران الروح ..

4 ـ حادث فى السوق ..

عندما فكت الأقطـاب عن رأسها ، جلسـت تحدق فى الفراغ للحظات .. البيت هادئ والصمت يسود المكان ما عدا ذلك الكلب الذى ينبح عند شارع قريب ..

الدوار .. ذلك الدوار الذى يغمرها غالبًا عندما تعود من عالم فانتازيا . نفس ما يشعر به ذئب البحار عندما يعود من رحلة فى البحر طالت عامين ، ثم يمشى فى شوارع المدينة ..

تشعر بظمأ حارق .. اتجهت إلى المطبخ وفتحت الثلاجة فأخرجت زجاجة من الماء البارد وأفرغتها كلها فى بطنها ..

غريب .. دائمًا ما تعطيها خبراتها فى فانتازيا جو الإشباع كأنها كانت فى رحلة ممتعة .. تعود منتعشة أكثر قدرة على تحمل الواقع . اليوم هى منهكة فعلاً ... لا تريد شيئًا سوى أن تنام ..

كان كل من معها بالبيت نائمًا ..

أعدت لنفسها كوبًا من الشاى بالحليب ، ثم تربعت فوق الفراش .. الأرفف جوار الفراش مفعمة بالكتب .. أفكار تتزاحم كأنها فى حافلة وقت الذروة .. لابد أن هناك الكثير من التدافع والتحرش ..

ترى هناك ترجمة عربية للافكرافت. يمكنها الآن أن تفهم من أين جاء لافكرافت لعالمها ..

لكن التجربة كانت قاسية جدًا قصيرة جدًّا ..

تتذكر طفولتها عندما كانت تتحرق شوقًا للذهاب إلى السيرك . عندما اصطحبها خالها العزيز هناك جلست تصفق فى حماس وتفرك يديها .. جاءت فقرة ثم فقرة ثم فقرة .. تصاعدت مشاعرها نحو ذروة من الاستثارة والحماس .. هنا ظهر مدير السيرك ليشكر الجمهور على حضور العرض !

لقد انتهى كل شىء ..

كانت تتهيأ لذروة .. ذروة تفقدها صوابها وتجعلها تصرخ حماسة ، لكن كل شىء انتهى فجأة ..

لم تعش ما يكفى مع لافكرافت . يكفيها فقط أنه ليس على ما يرام وأن عوالمه كابوسية ، ولا شك أن فى شخصيته جزءًا من النبى الزائف .. فهو يبشر بدين جديد وهو يصدق هذا الذى يبشر به .. اقتناعه بعوالم كتولو وأزوث يتجاوز الاهتمام الأدبى ..

رشفت رشفة أخرى من الشاى ، ثم تمددت فى الفراش تنظر للسقف وتفكر فى خطة الغد .. سيكون عليها أن تدفع فاتورة

الكهرباء المتأخرة . عليها أن تجـد حضانة أخـرى للطفلة فهذه الحضانة وكر عصابة ... ماذا تطهو غدًا ؟

غالبًا ستبتاع بعض السمك المشوى .. السمك البلطى رخيص ولن يستغرق الأمر منها جهدًا سوى إعداد بعض الأرز ...

هذه الورقة ...

أناملها تكرمش الورقة .. تتحسسها فى دهشة .. أى ورقة هذه ؟

رفعتها أمام عينيها ثم فتحتها وحاولت أن تقرأ الموجود ..

رباه !.. هذه هى الكلمات التى خطها لافكرافت قبل أن ترحل . قال لها إنها ستفهم كل شىء . لكن كيف ؟.. هل هذه الورقة جاءت معها من عوالم الحلم مثـل ذلك الشـاعر البريطانى الذى حلم بالفردوس ثم صحا ليجد زهرة فى الفراش ؟

مستحيل .. هـذا كلام شعراء .. لكن على قـدر علمها هى لم تعد قط بشىء من فانتازيا . لم تحمل سوى الذكريات ...

فتحت الورقة ببطء وراحت تطالع المكتوب بذلك الخط المبعثر الأسود :

كتولو فتاجن

فنوجلوى مجلوناف كتولو رليه وجانانج فتاجن

ياى نجناه .. يوج سوثوث

هى لجيب

فاى ثرودوج .. يواه .... جيب ليب

زرو

دسميس جيشيت بون دوسيف دوفما انتيموس

لارلياهل سيهويل فلجانجل دا لا .... يها نتلى ...

هل هذه لغة لاتينية ؟.. لا .. هذا واضح . على الأرجح هى لغة (عفاريتية) . مخيفة فعلاً وتوحى بالشؤم ..

لكن لماذا أعطاها لافكرافت هذه الورقة وما أهميتها ؟.. لكى تنتفع بالورقة فعليها أولاً أن تفهم ما فيها . واصلت القراءة وهى مضطجعة فى الفراش ..

فى النهاية كان هناك رمز .. رمز الثليما الذى تعرفه من قراءاتها عن كراولى . كل هذا جميل ولكن لا معنى له .. دعك من أنها لا تفهم حقًا كيف عبرت بهذه الورقة من عالم الخيال ؟

ثم بدأت تعتقد أنها تعرف الحل. يمكن بسهولة أن يكون هذا خطها لو تشوه نوعًا .. لابد أنها أثناء الغيبوبة نهضت .. بحثت عن ورقة وخطت عليها هــذه الكلمات .. ألعــاب العقل الباطن الشهيرة .

هكذاً كورت الورقة وتهيأت للنوم ..

* * *

السوق ..

تحب الســوق برغم الزحــام والغبار والطين والكلاب الضالة والضوضاء .. يشعرها بالخير كله محتشدًا فى مكان.واحد . لم تكن تحب الأكل أبدًا لكنها تحــب منظــره .. قــد لا تحب مذاق الطماطم لكنها تعشق حباتها الحمراء الملساء اللامعــة .. ربما لا تذوق السبانخ لكنها تعشق هذه الأوراق النضرة ..

السوق ليس ببعيد على كل حال .

اتجهت نحو بائعة السمك لتبتاع سمكًا مشويًّا للغداء كما قررت ، لكن يبدو أن المرأة لم تأت اليوم . كان هناك زحام فى ذلك المكان .. استطاعت أن ترى مجموعة من النسوة وشباب السوق ، وهناك رجلا شرطة .. شرطة ؟

كانت ككل فتاة فى حى شعبى تلبس شبشبًا وتحمل كيس النقود الصغير فى يدها . شقت الزحام لتعرف ما هنالك ..

عندما اقتربت أدركت أنها تحدق فى قدمين متسختين تخرجان من تحت ملاءة .. وأدركت أن الملاءة ملوثة بالدم .

جريمة لا شك فيهـا .. ليتها تسـتطيع أن تقسـم أن هاتين القدمين ليستا قدمى البائعة ..

وسمعت إحدى النسوة تقول فى لوعة :

ــ « يبـدو أنها جاءت فى سـاعة مبكرة .. لابـد أنه باغتها بالطعن ، ولم يكن هناك أحد سواهما فى السـوق .. سرق المال وهرب .. »

قال الشرطى :

ــ « ولمـاذا يشوهها بهـذه القسوة ؟.. القتـل تكفيه طعنة واحدة .. »

كانت عبير تدرك أن هـذه العجوز بلا أعـداء . ولو كان لها أعداء فليس منهم من يرغب فى تمزيقها .. التمزيق يقوم به شخص ينتقـم أو عاشق غيور أو زوج يدرك خيانة زوجته ..

ليس هناك قاتل يتطوع بالمزيد من العمـــل بلا سبب . لا يتعلق الأمر بالحصول على أجر إضافى ..

ـ « يبدو أنه انتزع كبدها .. »

شعرت بمعدتها تتقلص وأنها توشك على القىء ..

هتف أحد رجلى الشرطة :

ـ « فليذهب كل واحد لشأنه .. انتهت الفرجة .. »

استغرقت عبير ربع ساعة حتى عادت معدتها تعمل ، وإن سال اللعاب من بين شفتيها دون أن تدرى ..

أدركت عبير أن الأمر له جوانب مأساوية كثيرة ، لكن الجانب الذى يهمها الآن هو الحاجة لشراء سمك مشوى رخيص جيد قبل موعد الغداء .. هــذه هى مأساتها الخاصة .. هنـــاك أسرة جائعة لن تهتم بأخبار قتل البائعة ..

لحظـــة أن تغيـــر حلاقك أو سائقك أو بائع ســـمكك هى لحظة قاسية فعلاً .

كانت ماشية فى الســـوق تبحث عن بائع سمك آخـــر ، عندما وجدت مجذوبًا يحمل مبخرة .. يمشى واللعاب يتطاير من فمه

وهو يهز رأسه يمينًا ويسارًا .. لا لم يكن يقول : (قيوووم) بل كان يقول :

ــ « فنوجلوى مجلوناف كتولو رليه وجانانج فتاجن .. »

يا للخبال ! .. كل النـــاس قد جنت . يبدو أن الضغوط النفسية قد .....

لكن ..

ماذا قاله هذا المخبول ؟

« فنوجلوى مجلوناف كتولو رليه وجانانج فتاجن .. »

هنا فى السوق ؟ . يبدو الأمر غريبًا بعض الشىء ...

لقد كان يردد ذات كلمـــات لافكرافـــت !... لابـــد أنها مجنونة أو على وشك ..

5 ـ يـوم الجنـون ..

لا يمـكن أن يقـابل المـرء لافكرافـت حتى فى فانتـازيا ، إلا ويسبب له هذا بعض النحس .. الكثير منه ..

لا شك أن العالم لم يعد كما كان أمس .

هكذا خطر لها وهى تقـدم السمك لأمها والطفلة ، ثم تغرف الأرز فى الأطباق .. كانت هناك مائدة فى البيت لكنهن يفضلن الجو الحميم للطبلية .. مائدة الملك آرثر المستديرة على الطريقة المصرية ..

راحت تصنع لقيمات وتنزع الشوك من السمك ثم تدس هذا كله فى فم الصغيرة الرطب ..

قالت لأمها أن أم (فتحى) بائعة السمك قد قتلت فى السوق .. قتلت بطريقة شنيعة ولا يعرف أحد السبب ..

كانت الأم قد صارت شبه صماء لذا راحت تصغى ، بينما عبير تكرر كل عبارة مرتين بصوت عال . لما انتهت عبير من السرد قالت العجوز العزيزة :

ــ « النفوس صارت سيئة .. »

كلمتها الشهيرة .. تسمعها عبير منذ طفولتها ومنذ كانت فى عمر هذه الطفلة . الأمر غريب .. النفوس صارت سيئة منذ ثلاثة عقود فمتى كانت طيبة إذن ؟.. هذه الأم جاءت من عالم يملك أفراده جناحين ويحلقون بين الأزهار ، ولا يقتلون بائعات السمك أبدًا .. بينى وبينك .. العالم الذى لا يقتلون فيه بائعات السمك وينزعون كبدهن هو عالم جدير بالحياة فيه ..

بسرعة انتهت عبير من طعامها فانتقت طبقًا وضعت فيه بعض الأرز وسمكة وملعقتى سلاطة .. ونهضت لتغسل يدها ..

سألتها الأم عن وجهتها فقالت وهى تجفف يدها فى المنشفة :

ــ « أم سيدة .. »

لو لم تكن تعرف أم سيدة فأنا أقول لك إنها تلك العجوز التى تعيش وحدها فى الشقة المجاورة . أولادها يمتازون بالعقوق وليست معها ابنتها سيدة .. وهى لا تملك مليمًا .. لهذا اكتشفت عبير أن العجوز طاوية أغلب الوقت ، وفى أيام كثيرة تنام بلا غداء ولا عشاء .. كبرياؤها تمنعها من التسول .. لا تطلب شيئًا من

أولادها ولا جاراتها . بما أن عبيرًا هى ملكة جمال أرواح ؛ فقد أضافت لأسرتها الصغيرة فردًا جديدًا .. فى أكثر الوجبات تذهب للعجوز الوحيدة لتقدم لها طبقًا من أوسط طعامها .. تفعل هذا خلسة وهى تتلفت حولها كأنها تسرق المصرف ...

هكذا خرجت عبير من الشقة قاصدة الشقة المجاورة ..

•

دقت الباب عدة مرات ونادت :

ــ « يا أم سيدة .. أنا عبير .. »

لم ترد المرأة ..

كانت عبير تعرف الحيلة . تمـد يدها عبر الشراعة وتهبط بأناملها لتفتح المقبض من الداخل . تفعل هـذا كثيرًا .. هكذا وضعت طبق السمك على الأرض ، ثم مدت يدها وتحسست المقبض ..

الشقة خالية .. يبـدو أن العجـوز خرجت .. هذا نادر لكنه يحدث ..

ــ « أم سيدة ! »

التلفزيون مفتوح على مسلسل سخيف يعاد وقت العصر يوميًّا .. هنـــاك منضدة عليهـــا رغيف وقرطاس به فلافل . هناك علبتا دواء .. هذه آثار أم سيدة لكن أين أم سيدة نفسها ؟

دخلت عبيرِ إلى غرفة النوم ..

كان ما رأته مثيرًا للهلع .

كان الدم فى كل مكان ، وكانت هنـــاك نجمـــة خماسية على الأرض .. نجمـــة رسمت بالطبشـــور .. وفى كل صوب تناثرت شموع سود ... هناك رسم بدائى لرأس ماعز ..

وأدركت أن مركز النجمة هو جسد بشرى ممزق .. جسد أم سيدة بالذات ، وقد تم إبعاد أطرافها لتبدو كنجمة .. الأدهى هو أن الفم مفتوح ومن الواضح تمامًا أن هناك من نزع اللسان !

هنا فقط استندت إلى الجدار وأفرغت ما كانت معدتها تتوق لأن تفرغه منذ الصباح ..

ما هذا الجنون ؟.. أى يوم هذا ؟

هناك من قتل هـــذه العجوز الفقيـــرة البائسة ، وقتلها بطريقة شنيعة فعلاً ..

الأسوأ أنها لا تعرف أين ذهب القاتل .. الشقة مغلقة .. هناك احتمال لا بأس به أن يكون هنا ..

كاد قلبها يثب من فمها .. خيـل لها أن ثمـة من يتحرك فى الصالة .. لا شك أنه يحاول الفرار ، ولو رآها فلسوف يحاول أن يلحقها بالعجوز قطعًا ..

تجمدت فى مكانها .. برد فعـل غبى تناولت شـمعة سوداء وقبضت عليها كأنها خنجر لتطعن بها من يهاجمها . حقًا ستكون الشمعة فعالة جدًّا فى طعن المهاجم ..

ثم وجـدت حلاً أفضـل .. ركضت نحـو النافذة وفتحتها ، ثم أمسكت بالقضبان وراحت تصرخ بلا هوادة .. تصرخ كأنها فى كابوس :

ــ « الحقونى ى ى ى ! »

ورأت المارة ينظرون لها فى فضـول ، ثم هرع فتوات الحارة بالجرى لمساعدتها .. هذه مزية الحياة فى حارة .. لو حدث هذا فى منطقة راقية لظل الناس ينظرون لها فى غباء ، ثم انصرفوا حال سبيلهم . بينما هنا الشباب مستعد للشجار معك أو من أجلك ربعًا وعشرين ساعة .

وبعد دقيقة كان هناك عـدة شباب ينظرون إلى الجثة الغارقة فى الدم ، ويفتشون فى الشقة وهم يلوحون بالمطاوى ..

وأدركت أنه لا يوجد قاتل فى الشقة فى هـذه اللحظة .. هذه من بنات خيالها إذن ..

بعد ساعة ـ وهذا يعنى أنهم جاءوا بسرعة ـ وصل رجال الشرطة والمختبر الجنـائى ، ليحققـوا فى ملل ويلتقطوا بعض الصور ويأخذوا البصمات .. ثم جاء محقق مرهق ليأخذ أقوالها .

هل لأم سيدة أعـداء ؟.. بالطبع لا .. إنهـا كائن يعيش على هامش العالم كاليعسوب .. هل تعرف من هم أعداء اليعسوب ؟.. هل تهتم بوجود يعسوب ؟ بل هل تعرف ما هو اليعسوب أصلاً ؟

لكن الضابط الذى راح يتأمل الجثة قبل وصول رجال الإسعاف الذين جاءوا بعـد ساعتين (لأن الأمر ملح وخطير) .. هذا الضابط قال وهو يتفحص فم الجثة المفتوح :

ـ « انتزاع لسان .. هذا جديد .. »

قالت عبير وهى ترتجف :

ـ « نجمة خماسية .. رأس ماعز .. »

نظر لها الضابط فى حيرة ثم قال :

ـ « نجمة ماذا ؟ خماسية ؟ ومعنى هذا ؟ »

لقد بلغت روحها الحلقوم من انعدام خيـال الناس وثقافتهم . لو رأى هـذا الضابط فيلمًا أجنبيًا واحـدًا لعرف معنى النجمة الخماسية ..

قالت فى نفاد صبر :

ـ « هذا قتل (طقسى) .. »

ـ « وما معنى طقسى ؟ »

يا رب امنحنى الصـبر .. لو أطلقت سـبة لجلبت على نفسى المتاعب . قالت وهى تتنهد :

ـ « سحر .. سحر أسود .. عمل .. »

قال مفكرًا وهو يحك ذقنه :

ـ « بينى وبينك معك حق .. هناك جرائم مشابهة فى المناطق التى توجد بها آثار فرعونية . يعتقدون أن هذه الطقوس الدموية تقودهم للعثور على الكنوز .. »

ثم نظر فى ساعته وسمح لها بالانصراف .. سوف يطلبونها لو جد جديد .. عليها أن تكون حذرة وتغلق بابها جيدًا ..

* * *

لكن الكلام سهل .

لقد تبدلت حياتها بالكامل .. عندما تعرف أن هناك سفاحًا دخل البناية التى تقيم فيها ، وذبح امرأة مسنة فى الشقة التى أمام شقتك ، فأنت قد فقدت الأمان للأبد ..

تأكدت من غلق الشقة ، وأصدرت تعليمات الحماية لأمها .. الأم التى كانت فى حالة ذعر جعلتها لا تفهم بالضبط الموضوع ..

دخلت عبير إلى الحمام ، وقررت أن تبدل ثيابها .. لم تكن ملوثة طبعًا لكن رائحة عرقها كانت تكتم الأنفاس .. لقد فقدت ستة لترات من العرق على ما يبدو فى الساعة الماضية ..

وقفت بقميصها الداخلى أمام المرآة وبدأت تمشط شعرها . هنا لاحظت شيئًا ما ..

إن قميصها الداخلى ملوث بالدم عند الصدر.. دم أحمر جاف بدأ يسود ، وهو ليس دمها .. لا توجد جروح !... من أين جاء الدم إذن ؟

ثم خطر لها أن هـــذا الدم جاء من .. من انتزاع لســـان امرأة مسنة تعيش وحدها !

6 ـ حـــادث عابـر ..

راحت ترتجف بلا توقف ..

هذا كله مستحيل ، ولكن من أين جاء الدم إذن ؟ كان ذعرها سيكون أقل لو وجدت جرحًا نازفًا فى صدرها .. على الأقل هذا تفسير منطقى للعالم ، لكن لا يوجد تفسير سوى التفسير الأشنع الذى تهابه ..

كيف ؟

هناك نقطة أخرى مهمة هى أن أم سيدة لا تفتح إلا لعبير . وعبير تعرف كيف تدخل الشقة بلا جهد كما قلنا ..

هل تكونين أنت القاتل يا عبير ؟.. نزعت ثيابك ورحت تمزقين العجوز وأنت تلبسين قميصك الداخلى ثم اغتسلت ولبست ثيابك من جديد وعدت لدارك ، وجلست تعدين لها طعام الغذاء ؟. تعدينه لضحيتك !

ما هذا الجنون ؟.. تقرأ عـــن أشياء كهذه فى القصص ، لكن أن يحـــدث هـــذا فى عالم الواقع فهـــو شىء مســـتحيل . ولكن ما التفسير إذن ؟

نظرت لوجهها فى المرآة وتقلصت ملامحها فى توحش :

ـ « هذا اللافكرافت النحس .. هذا اللافكرافت اللعين .. لقد غير شخصيتى .. لم أعد بعد مقابلته كما كنت .. أنا متأكدة من هذا .. »

نزعت القميص الداخلى ونقعتــه فى ماء ومسحوق غسيل . وأدركت أن الدماء الجافة تلوث عدة أجزاء . هل سيجد رجال الشرطة بصماتها ؟.. هل يوجهون لها الاتهام ؟..

والأهم هو : كيف تواجه نفسها ؟.. لا تجرؤ على طلب عون او رأى شخص آخــر .. مساء الخيــر يا سيدى . أعتقد أننى مخبولة وأننى أنتزع لسان العجائز وأقتلهن . هل من مقترحات ؟

هل تسلم نفسها للشرطة ؟.. تصرف أحمق آخر خاصة أنها لا تملك دليلاً ، ولن يصدقوا حرفًا ..

يجب أن تحل مشكلتها بنفسها ..

* * *

فى نفس الوقت تقريبًا ..

فى ذلك المطعم بالإسكندرية ..

كان الزبائن يلتهمون أطبـاق الكبـاب المشوى مع السلطة .. أطباق شهية ممتازة فعلاً . سلاطة الطحينة التى يقدمها المطعم شهية كذلك ، فإذا أضفنا لهـذا الخبـز الأسمر النضر الذى تشم رائحته الطازجة من على بعد عدة أمتار .. يمكنك أن تختار هذ المطعم كأفضل مطعم عرفته فى حياتك .

صاحب المطعم الحاج (الششماوى) جالس على الكاونتر يدخن الشيشة فى رضا ويعـد المال ، ويقدم للزبائن أعواد خلا الأسنان .. كأنه يعوضهم بهذه الأعواد عن المال الذى دفعوه .. ،

توقفت سيارة أمام المطعم .. سيارة لها ذلك المنظر الرسمي الكئيب ، ومنها ترجل مفتشا تموين وطبيب ورجل شرطة مسن منهك ...

تقدم الموكب نحو المطعم ..

الحاج خرج ليقابلهم ومعـه أحـد صبيانه المذعورين ، وهو يتساءل :

ــ « خير يا باشا ؟.. هل من مشكلة ما ؟ »

زيارات رجـــال الصحة هـــؤلاء روتينية على كل حـــال ، وقد اعتادها . لابد أن زبونًا ابن حرام قد وجه شكوى ما ، أو واحدة من مطلقاته قد فعلت هذا .. ووراءه جيش من النسوة المطلقات يبحثن عن طريقة يضايقنه بها ..

تقدم المفتشان إلى المطبخ حيث كان هناك عدد من العاملين .. عرق .. زحام .. بخار خانق .. قيزانات تغلى .. فتاتان تتبلان اللحم .. خلية نحل كاملة ..

يقوم الطبيب بتشمم اللحم ثم يأخذ عينات منه ..

لاحظ أحدهما أن العاملات لا يغطين شعرهن ، وهذا يخالف القواعد الصحية .. وعلى الفور زغر الحاج بعينه فمدت الفتيات أيديهن إلى مناديل رأس وربطنها ..

هذا روتين سوف ينتهى حالاً .. ربما احتاج إلى دفع رشوة بسيطة من تحت المائدة ، لكنه اعتاد هذا كذلك ..

لكن رجل الشرطة المسن وقف عند باب فى نهاية المطبخ . باب عتيق موصد بعناية ، وتساءل عما هنالك ..

قال الحاج فى قلق :

ـ « لا شىء هنا .. مجرد صندرة .. »

ـ « افتحها .. »

تملص الرجـل وزعم أن المفتاح ليس معـه ، لكن مفتشى الصحة تعاونا على فتح الباب عنوة .. انفتح الباب أخيرًا وقد تهشم جزء من مفاصله ، ودخل الطبيب المكان باحثًا عن مخالفات ..

بالواقع لم تكن هناك مخالفات .. كانت هناك فظائع ..

لقـد كـان المشهد جديرًا بأفلام الرعب الحديثة أو مسرح (الجراند جوينيول) .. كانوا يتمنون رؤية حمير مذبوحة ليبدأ الكـلام ويحرروا قضـية مكتملة الأركان . لكن هـذه الأشياء المذبوحة هنا ليست حميرًا ..

وارتمى الطبيب على ركبتيه يفرغ معدته . بينما بكى الشرطى هلعًا ..

للأمانة يجب أن نقول أن معظم العاملين ذهلوا بدورهم .. لم يكونوا عارفين بهذا الذى يتعاملون معه ، ويبدو أن دخول هذه الغرفة الرهيبة كان مقصورًا على عدد محدود من (المحظوظين)

بينما ما يراه العاملون فى المطبخ هـو قطع لحـم ممتازة تم إعدادها ليلاً بعد غلق أبواب المطعم ..

وخرج مفتش التموين إلى الزبائن الذين ملئوا أشداقهم بالطعام وقال وهو يرتجف :

ـ « لا تأكلوا !!.. ابصـقوا ما فى أفواهـكم .. أنتـم تأكلون بـ ... بشـ ... »

ثم سقط فاقد الوعى ..

* * *

أمام شاشة التلفزيون فى المساء راحت عبير تتابع أحداث هذه الواقعة المريعة ..

الغريب أن المطعم بدأ هذا النشاط الشيطانى منذ أيام معدودة .. اكتشف فجأة أن لحم البشر رخيص ومتوافر .. بدأ يتعاقد مع اللحادين ثم بدأ يقتل بنفسه ..

هذا الخبر المريع صار حديث الإعلام لعدة أيام. والحقيقة أن معدتها كانت متقلصة بما يكفى فلم تستطع سماع المزيد ..

على الشاشة ظهر الشمشاوى ، ورجال الأمن يحيطون به . لقد صار نجمًا .. أشهر وجه فى مصر حاليًّا .. والإنترنت مقسمة بين من يطالبون بتمزيقه وإلقاء بقاياه للكلاب ، ومن يطالبون بشيه حيًّا على أن يأكل هو أشلاءه كما حدث مع (ابن المقفع) ...

ينظر للكاميرا نظرات زائغـــة ويؤكد أن الشيطان هو من جعله يفعل هذا ..

ثم فجأة يغنى .. ويطرى رجال الأمن على يقظتهم ويؤكد أن مصر أم الدنيا .. واضح أنه مجنون . لو أمعنت التفكير فى الأمر لوجدت أن هذا منطقى .. هذه جريمة لا يقدم عليها إلا مجنون كانت هناك فى الماضى أيام سعد ونفوس طاهرة تطعم زبائن المطاعم لحمًا فاسدًا .. ثم صارت النفوس أكثر شرًّا فبدأ تقديم لحم الحمير .. اليوم يبدو أن إبليس نفسه هو الذى ابتكر فكرة لحم البشر هذه ..

كانت واقفـــة فى الصالة الضـــيقة ترمق الشاشة عنـــدما رأت الرجل يردد بعينين متسعتين :

ـــ « لارلياهل سيهويل فلجاتجل دا لا .... يها نتلى ... »

ماذا قال ؟

ثم بدأت عيناه تبيضان وهــو يشخص للســقف ، وراح يردد بلا توقف :

ــ « قولوا .. قولوا .. »

سأله المذيع فى حيرة :

ــ « قولوا ماذا ؟ »

لكن عبير فهمت ما يقال على الفور .. لقد كان الرجل يردد :

ــ « كتولو !... كتولو ! »

7 ـ أمـور غريبـة ..

عندما تقرأ الأخبار على شبكة الإنترنت هذه الأيام تجد أمور
غريبة :

« شاب أمريكى يحرق نفسه حيًّا فى بروكلين .. »

« نســـاء أمريكيات يقمن مأدبة من القطـــط ، ثم يعلقن باق
القطط على أبواب بيوتهن لتجف .. »

« حارس حديقة الحيوان فى مانيلا يلتهم ثعبان كوبرا كاملاً .. »

« سائق حافلة يخترق بسيارته عمدًا مظاهرة تمشى فى شوار
شيلى .. »

« الفنانة عزيزة جنح تلتهم أذن الفنان حمادة الحليوه فى مشاد
كلامية .. »

« فى مؤتمر نســـائى بالجزائر زائر تبادلت سيدتان مبـــارز
بالأحذية .. »

« طيـــار أمريكى يقصف مدرسة فى فرجينيا .. لحسن الحظ حدث هــذا فى العطلة فلم يصب أحــد . يبــدو أن هذا نوع من الجنون المؤقت .. »

« شابان يفرغان بندقيتيهما الآليتين فى نزلاء مستشفى فى منيسوتا .. »

« لاعب الكرة عبده السيد يركل الحكم فى مؤخرته لأنه أعطاه بطاقة صفراء .. »

« القبض على تنظيم لعبادة الشيطان فى لندن . اشتكى الجيران مــن صخب يصــم الآذان ، واكتشفت الشرطة طقــوس قداس شيطانى يتضمن التضحية بأطفال رضع وعبادة بعلزبول .. »

« عصـــابة مـــن الرجـــال المسنين تتحـــرش بالفتيـــات فى ستوكهولم .. »

« السفيرة الإيطالية تبصق فى وجه وزير خارجية الأرجنتين أمام عدسات الكاميرا .. »

« سائق قطـــار فى كولومبيا يمشى عكس الاتجـــاه ويصطدم بقطار آخر .. »

« مئة مــن قبائل الماورى يمشــون مشتبكى الأيدى ليغرقو
أنفسهم فى المحيط .. »

كانت عبير تطالع هذه الأخبار فى شىء من الطرافة والخفة .
فى كل يوم حدث غريب جدير بأن تحكيه لصديقاتها.. تبتسم ث
تنسى الأمر وتبحث عن حدث آخر ..

لكن الصورة بدأت تتجمع ببطء .. هنـــاك وباء حقيقى مز
الجنون يحتشد .. كالنـــار عنــدما تشتعل فى أكثر من بؤرة فم
ورقة كبيرة ، ثم تلتحم بقـــاع اللهب وتفاجأ بأن الورقة تتقلص
وتتحول إلى رماد .. وربما تحرق أناملك ..

العالم يجن .. العالم يتحلل .. العالم يحترق .. لا شك فى هذا ..

لكنها كذلك كانت غارقة فى هواجسها الخاصة بصدد ما قامت
به أو لم تقم به ..

هناك جو عام من الذعر فى شقتها .. فى البناية .. فى الحارة .
فى المدينة .. أمها مذعورة طيلة أربع وعشرين ساعة .. عندما
ينتزع لسان جارتك على بعد أمتار منك فمن الصعب أن تعتقد أنك
تعيش فى الفردوس ...

لكن ما كان يفزع عبير حقًا لم يكن السفاح .. كانت خائفة من نفسها هى .. لو كان السفاح يكمن بداخلها فهــو ألعن أنواع الخطر .. خطر لا يمكن الفرار منه .. كيف يفر المرء من نفسه ما لم ينتحر ؟

رباه ..

هل تكون هى المسئولة عن مقتل بائعة السمك فى السوق ؟ معنى هــذا أنها وحش تحرر ولا مناص مــن أن تسلم نفسها للشرطة بأى ثمن ..

كيف تعرف ؟.. كيف تضمن ؟

* * *

بعد يومين توفى عم حمزة البقال ..

أنت تعرف متجر عم حمزة البقال .. ذلك الشيخ الذى لا يبيع شيئًا تقريبًا ويقع متجره فى آخر الشارع جــوار عمود النور . محل ضيق بحجم الكشك فيه أرفف تمتاز بأنه لا يوجد فوقها أى شىء على الإطلاق .. ربما بعض علب الثقــاب .. ربما زجاجة زيت .. لا أكثر ..

يجلس الرجل طيلة اليوم يشاهد صورة رديئة ما فى تلفزيون (كاترون) عتيق أبيض وأسود صورته مشوشة تمامًا . ومن حين لآخر يبيع علبة سجائر أو علبة ثقاب . لابد أنه كان يقيم حفل عشاء فى بيته يوم يبيع علبة مسحوق غسيل ..

عندما ذهب الناس فى الصباح إلى المتجر وجدوه مفتوحًا ..

خلف الكاونتر وجدوا جثة البقال العجوز مشوهة ممزقة . على وجهه نظرة رعب لا توصف ..

من الواضح أنه مات فى ساعة متأخرة ليلاً قبل العودة لداره أو هو فتح المتجر مبكرًا وهاجمه القاتل ..

لماذا يهاجم أحد هذا البقال الطيب ؟..

إنه كاليعسوب .. لا قيمة له ولا خطر .. لا أحد يسرق رجلا كهذا لا يمكن أن يكون فى محله مبلغ أكثر من خمسة جنيهات ! لا يمكن أن يحقد أحد على رجل كهذا لابد أنه لم يؤذ نملة منذ ثلاثين سنة ... لا أحد يعرف له أسرة أو زوجة أو أولادًا ...

جريمة عبثية جدًا ..

والأسوأ هو أنه لا يوجد أى دليل على القاتل .

عبير كانت تمر فى الشـــارع عنــدما رأت الزحام والمتكأكئين حول المتجر .. هذا يوم سعيد للأطفال .. الكثير من المرح . المرء لا يرى جثة ممزقة كل يوم وهذه مشاهد تسعد الأطفال جدًّا كما تعرف ، لكنها تصيب الكبار بالغثيان ..

وقفت مذعورة خائفة من الاقتراب .. ثم أزمعت أن تدنو بضع خطوات .

لو رأيتها وقتها لقلت إنها القاتلة يقينًا . من يدرى ؟.. ربما كانت هذه هى الإجابة فعلاً .

وقفت من بعيــد ترتجف .. زحـــام ناس .. رجال شرطة .. الإسعاف تحاول أن تجد لنفسها مكانًا ...

ثم تصلبت عيناها على شىء جوار باب المتجر .. رسم بدائى بطبشور أسود ... يمكن القول أن هذا رسم لأخطبوط .. أخطبوط بجسم بشرى ....

هذا هو التوقيع .. لا توجد أشياء كثيرة لها ذلك الشكل ..

يا ربى .. ماذا يحدث هنا بالضبط ؟

* * *

تتأمل وجهها فى المرآة عندما استيقظت ..

هل أكون قد فعلتها ؟

هل أكون قد تبدلت بعد رحلتى المشئومة إلى آرخام ؟

يسهل تصور هذا عن أن تتصور أن هناك حشدًا من القتلة يمارسون جرائمهم فى وقت واحد وبشكل واحد ويبعثرون علامات من عالم لافكرافت ..

عبير يا صغيرتى .. يجب أن تفعلى شيئًا ..

لو ذهبت للشرطة وقلت أنك تخشين أن يكون عالم لافكرافت قد غيرك ، فلسوف يطردونك وهم يضحكون ساخرين . يجب أن يكون المبرر أقوى ..

ماذا تفعل ؟

لن تجسر على قضاء يوم آخر فى هذا البيت وهى تشك فى عقلها ..

هكذا حزمت أمرها .. بدلت ثيابها إلى ثياب ثقيلة مريحة ، ثم نظرت إلى أمها النائمة وابنتها فى حسرة . لا بأس .. لقد اضطررت لهذا .. أنا آسفة .. سامحينى يا أمى ..

نزلت إلى الحارة ..

مشت بخطوات ثابتة إلى الشارع .. إلى المصرف الموجود على الجهة الأخرى. شقت طريقها وسط السيارات ..

هناك كان الشرطى يجلس على باب المصرف يرشف كوبًا من الشاى ويدخن وبندقيته جــواره . جــو التراخى المصرى العام باعتبار أنه لا يحدث شىء فى العالم على الإطلاق . دنت منه فنظر لها نظرة عابرة بلا فضول ثم عاد يشرب الشاى ..

الآن !

أسرعت لتلتقط البندقية الثقيلة ، وضمتها لصدرها ثم انطلقت تجرى هاربة !

8 ـ فلنتابع التلفزيون !

دسميس جيشيت بون دوسيف دوفما انتيموس ..

* * *

كانت تجــرى عالمة أنها بطيئة جــدًا ... عالمة أنها مرتبكة جدًا .. عالمة أنها تتعثر جدًا . تعــرف هذا جيدًا وتعرف أنهم سيمسكون بها خلال دقائق . لا يهم .. لقــد سجلت تهمة خطرة لا بأس بها .. عنـــدما يمسكون بها ســوف يضعونها فى الحجز لفترة طويلة . أضمن الأماكن لقضاء الليل عندما تخاف من نفسك هو السجن .

ـ « أمسكوا بها ! »

ـ « لا تدعوها تهرب ! »

تشق زحام الناس فينظرون لها فى دهشة . فتاة محجبة نحيلة تركض وهى تنوء بحمل بندقية . هناك رجلا شرطة يركضان من بعيد ..

لكن أحدًا لم يحاول اعتراض طريقها ، ولعل البندقية جعلتهم ينوجسون ..

على أن هناك بطلاً واحدًا على الأقل فى كل شارع من الجبناء ، وقد مد هذا البطل قدمه أمامها فطارت فى الهواء لتسقط على ركبتيها ، وسرعان ما وجدت أن رجلين يقيدان يدها وقد انتزعت البندقية ..

فى قسم الشرطة وجهوا لها عشرات الأسئلة عن سبب تصرفها هذا فلم ترد . الضابط أشعل علبة تبغ كاملة وهو يحاول انتزاع كلمات منها ..

فى النهاية قالت وقد أوشكت على النوم من الملل :

ـ « أن كتولو عائد ! »

نظر لها فى حيرة للحظات .. ثم كرر السؤال :

ـ « من يا أختى ؟ »

ـ « كتولو .. »

راح يردد الاسم ساخرًا ثم اكتشف أنه يصلح ليوضع فى أغنية : كتولو كتولو الحقيقة .. كتولو باحبه من أول دقيقة .. على نفس لحن أغنية عبد الحليم حافظ القديمة .

كررها وضحك فى عصبية ، ثم أصدر أوامره الصارمة لرجل الشرطة الواقف أمامه :

ــ « ألقــوا بهذه المجنونة فى الشارع .. لــدى من المشاكل ما يكفى .. »

راحــت هــذه المجنــونة تحــاول المقــاومة بينما الشرطى يجرهــا للخــارج . هــذه على قــدر علمى المــرة الأولى التى يقاوم فيها السجين الخروج للحرية بهذه الشراسة . وقــد راحت تتملص وهى تردد ، على طريقة الفنــان أحمد توفيــق فى فيلم (شىء من الخوف) :

ــ « أنا لســت بريئة .. أنا كائن شيطانى ..!... أنت ترتكب خطأ جسيمًا ! »

ـ « للخارج ! »

وسرعان ما وجدت نفسها تطير خارج القسم ..

هؤلاء القوم بلهاء فعــلاً .. لقــد كانت لديه فرصة العمر لكنا يفوتها ببساطة لأنها لا تبــدو قاتلة . هــذا بلد ينخــدع بالمظهر جدًا ..

ماذا تفعل ؟.. هل تقتل أحــد المارة لتضمن هــذه المرة أن تقضى بقيــة حياتها فى السجن .. مستحيل .. لا يمكنها أن تفعل شيئًا كهذا بكامل وعيها وإن كانت تعتقد أن بوسعها عمل ذلك لو تم تغييبها .

سوف تعود للبيت وتفكر ..

* * *

أخرجت مجلد مؤلفــات لافكرافت وراحــت تقرأ ما كتبــه عن كتولو ..

عبارة « فنوجلوى مجلوناف كتولو رليــه وجانانج فتاجن » معناها « فى بيته فى (رليه) ينتظر كتولو الميت ويحلم » . عبارة رهيبة لكنها غير مفهومة قطعًا .

يتكلم لافكرافت عن حقــب حكمت فيها تلك الكيانات القديمة الأرض وكانت لهم مدن عظمى. وبقايا تلك المــدن موجودة فى بعض جزر المحيط الهادى . هم موتى لكن من الممكن أن يعودوا لو أن النجوم اتخذت موضعًا مناسبًا .

هم ليسوا من لحم ودم .. لهم أشكال لكنهم غير مكونين من مادة .. كلهم ينتظرون فى مدينتهم العظمى (رليه) بانتظار التعاويذ التى سيلقيها كاهنهم (كتولو) ..

هم ينتظرون فى الظلام ويحلمون ، فتمر عليهم ملايين السنين لكنهم يعرفون كل ما يدور فى الكون لأن طريقة تفاهمهم هى الأفكار. سوف ينتظرون حتى الوقت المناسب قبل أن ينهضوا .. هذا الوقت المناسب تسهل معرفته لأن البشر سيكونون وقتها مثل الآحاد القدامى ، أحرارًا لا يبالون بالخير أو الشر ولسوف يتخلصون من الأخلاق ويقتلون بعضهم البعض . وسوف يعلمهم الآحاد القدامى المزيد من وسائل المتعة حتى تصير الأرض محرقة من الجنون .

قال لافكرافت أن مركز هذه الديانة كان فى صحراء العرب حيث توجد (إرم) ذات العماد .. وإنه لم يرد ذكر لها فى أى كتاب ما عدا كتاب (نيكرونوميكون) الذى كتبه الشاعر المجنون (عبد الله الحظرد) .

فكرت عبير فى قلق ... « سوف يتخلصون من الأخلاق ويقتلون بعضهم البعض . وسوف يعلمهم الآحاد القدامى المزيد من وسائل المتعة حتى تصير الأرض محرقة من الجنون » .

فيم تختلف هذه الكلمات الرهيبة عن سيناريو الأيام الماضية ؟..
الكل يقتل الكل ومحرقة الجنون فى كل مكان ..

راحت تفكر فى قلق ..

الأمر ليس سهلاً وليس بهذا الوضوح . نحن نتعامل مع أشياء قابلتها فى فانتازيا .. خيـــال روائى عبقـــرى مع لمسة جنون لا بأس بها. هذه أشياء مفهومة فى عالم فانتازيا ، لكنها غير قابلة لأن تعبر إلى عالمنا . حدثت لها تجربة بسيطة فى الماضى حكيناها فى قصة (بين عالمين) ، لكنها كانت خبرة لم تتكرر .. لا يمكن أن تتكرر ..

ولكن هناك دليلاً آخر لا يدحض هو أن كل من ماتوا أو قتلوا آخرين ، لهم علاقة بعبارات من عالم لافكرافت .. لماذا يتردد اسم كتولو ؟

هل هى تحلم ؟.. لعلها ما زالت فى عالم فانتازيا ؟

ربما هذا من طراز كابوس داخل كابوس الذى تخافه كثيرًا .. قرأت يومًا عن تأثير دروست الرهيب Droste effect ، عندما ترى

رجلاً يعلق صورة على الجـــدار .. فى الصورة ترى رجلاً يعلق صورة على الجدار .. داخل هذه الصورة ترى رجلاً يعلق صورة على الجدار .. وفى الصـــورة ..... إلخ دوامة شيطانية مرعبة بلا نهاية ..

ما تعرفه هو أنها لن تغادر البيت ..

ســوف تجلس أمام شاشـــة التلفزيون وتتابع الفضائيات طيلة اليوم . سوف تتابع الحــوادث الغريبـــة التى تحدث فى العالم ، وتحاول استنتاج شىء .. لن تخرج بأى ثمن . سوف تغلق الباب وتخفى المفتاح مع أمها .. ربما تقيـــد نفسها لمقعد كما يحدث للمذعوبين قبل التحول فى الأفلام السينمائية ..

ربما يمكن أن تخبـــر أمها بمخاوفها ، لكـــن العجـــوز الطيبة سوف تصاب بذعر .. ربما تقضى نحبها لو سمعت هذا الكلام ، دعك من أنها لن تفهم حرفًا ..

جلست أمام التلفزيون ..

تصلبت عيناها على كيس أســود صغير ملفوف بعناية ، وقد علقته على مسمار خلف التلفزيون ..

لا تريد أن تلقى نظرة على محتواه .. لا تريد ولا تجرؤ ..

بالمناسبة قد اختفى لسان جارتها العجوز أم سيدة .. لا شك أن هذا من أجل طقس ملعون ما . لكنها لن تحاول البحث عنه ..

* * *

9 ـ ظل فوق ليفربول ..

من رحمة الله بنا عجز العقل البشرى عن استيعاب كل محتويات الكون . نحن نعيش فوق جزيرة هادئة من الجهل وسط بحار سود من اللانهاية ، ولم نُخلق لنبحر بعيدًا . لم تستطع العلوم أن تؤذينا إلا قليلاً لكن يومًا ما سوف تجتمع قطع المعرفة المتناثرة وتفتح آفاقًا جديدة من الحقيقة .. عندها سوف نجن من هول الاكتشاف ، أو نفر من النور إلى حيث السلام والأمان فى عصر مظلم جديد .

هـ . ب . لافكرافت

* * *

لابد أن هذا هو الوقت الذى تثاءب فيه سائق الحافلة (لويد جيمس) ، وهو يفتح الباب ليصعد الركاب .

كان هذا عند أطراف (ليفربول) فى إنجلترا .. يمكنك أن ترى النوارس تحلق فى السماء ، وتشم رائحة البحر المالح من وراء

حاجز المبانى .. يمكنك كذلك سماع البحر لو أن الهدوء كان سائدًا ..

انفتح البـــاب وصعد أول الركاب ، وهـــو امرأة مسنة دفعت تذكرتها واتجهت للمقعد الخلفى . بعد هـــذا جاء شاب له شارب كث .. ثم ظهر شيخ منحن ..

هنا فقط بدأ لويد جيمس يفطن إلى أن رائحـــة الحافلة كريهة فعلاً ..

هذه رائحة سمك (زفرة) بلا شك ..

نظر فى اشمئزاز إلى الركاب الذين صعدوا ، وقال :

ــ « معذرة يا سادة .. هل هناك من يحمل معه حقيبة مليئة بالسمك ؟ »

سمك عفن كذلك .. لكنه لم يقل هذا ..

نظر له الركاب فى بلاهة كأنه أحمق ولم يقل أحدهم شيئًا . ثم تذكر أنه لم ير أى واحد من الركاب يحمل حقيبة .. لابد أن الأمر يتعلق بالقذارة الشخصية .. هناك صيادون فى هذه البلدة على كل حال .

صعد مزيد من الركاب. مع الوقت لاحظ أن الرائحة تتزايد .. صارت خانقة فعــلاً وشعر بأنه سقيم ، ومد يــده يفتح النافذة المجاورة له طلبًا للهواء ..

لم يكن لويد يحب هــذه المحطة بالذات ، لأن معظم الركاب الذين يصعدون من سكان ضاحية قريبة يمتازون بغرابة الأطوار . هم ليسوا ودودين ولا يتكلمون كثيرًا ، لكنه لا ينكر أن رائحتهم كانت كريهة لهــذا الحــد . على كل حــال هــو عائد من إجازة مرضية ، ولربما صار أكثر حساسية .

انطلقت الحافلة فى الشارع القريب مــن الميناء ، ثم انحرفت يمينًا عبر طريق مليء بالأشجار على الجانبين ..

رفــع لويد رأســه للمــرآة يتأمل الجالسين .. هنا شعر بعدم الراحة ..

لا شك أن كل مــن فى العــربة يرمقه فى ثبــات . مــد يده يبدل وضع المرآة ليرى المزيد .. فأدرك أنه ليس واهمًا .. كلهم ينظر له ..

شعر بعصبية أكيدة ومد يده يخرج المنديل ليجفف عرقه ...

رائحة السمك بالفعل تسبب له الدوار ..

لماذا يشعر بهذا التوتر ؟.. ما الغريب فى ركاب فضوليين ؟

ثم فطن إلى السبب ... السبب أن عيون هؤلاء القوم محملقة لا تطرف أبدًا . زجاجية واسعة ثابتة .

بدأ يختلس النظر إلى الفتـاة الجالسة بالقـرب منه ، وعينه الأخـرى على الطـريق حتى لا تحدث كارثة .. أدرك بالفعل أن لها هاتين العينين الزجاجيتين .. لكن كذلك هنـاك شىء يشبه القشور على عنقها .. لا شك فى هـذا ، والأهـم أن فى أسفل عنقها شقين عميقين .. كأن هناك مـن حاول ذبحها بسكين ثم عدل عن رأيه .

ألقى نظـرة إلى الرجـل المسـن الجالس قربه . لا شك أن موضوع القشور هذا يتكرر هنا .. ما الذى دها هؤلاء القوم ؟

ونظر ليـدى الرجل فرأى مشهدًا غريبًا .. هناك غشاء يصل بين الأصابع وبعضها .. غشـاء سميك يذكرك بأيدى الضفادع . لا شك فى هذا ..

الرائحة تتزايد والعرق يغمره أكثر ...

وماذا عن العجوز الجالسة جوار الرجل .. ماذا عن يديها ؟.. لا شك فى أن هناك ممسات كممسات الأخطبوط تبرز من الكم ..

ماذا أصاب هـؤلاء القـوم ؟.. مـن أين تأتى هـذه الرائحة الشيطانية ؟.. يده تتقلص على عجلة القيـادة ويبتلع ريقـه . ما يعرفه هو أنه داخل حافلة بها قوم غريبـو الأطوار ... قـوم هم مزيج من السمك والضفادع والأخطبوط ..

من أين جاء هؤلاء ؟

ماذا حولهم لهذا ؟

والأهم هو ماذا يفعل ؟

* * *

فى نفس الوقـت تقريبًا فرغ (مارسيل دوفـان) من رسم شجرة أسرته على تلك الخارطة التى علقها على الجدار . شرب كأسًا آخر من النبيذ وأشعل لفافة تبغ ثم راح يتأمل المشهد ...

يده ترتجف بلا توقف ..

يتأمل مجموعة من الخطابات والصور .. ووثائق وجدها فى العلية فى بيت الأسرة فى (نانت) .

ليته لم يفعل .. ليته لم يبحث عن أشياء تسوءه ..

يرى أجداده .. ثم أجداد أجداده ..

الشجرة تضيق لأسفل .. فى النهاية يصير عدد الأسلاف أقل ..

لكن أسـفل الشجرة توجد صورة مريعـة بالفعـل .. صورة لا تصدق ..

اليوم جاءته هـذه الصورة المرسومة من باتاجونيا ، فعرف من أين جاء جده بجدته عام 1635 ..

هناك رسـام كان على السفينة اسـتطاع أن يرسـم الصورة بدقة . وظلت الصورة فى حرز ثمين قرونًا إلى أن وصلت ليـد (مارسيل) ..

الآن هو يعرف من أين جاء ..

يعرف لماذا انتحر كل واحد مـن أجداده عندما جرب أن يجمع شجرة الأسرة كما فعل هو ..

لكنه الأخير .. ليس له أولاد .. ليس له أقارب ..

هذه المعلومات المريعة سوف تتلاشى للأبد ولن يراها شخص آخـر .

من الصعب عليه بعد اليوم أن يلمس لحم ذراعه ، أو يسمح لهذه اليد ــ يده ــ أن تدس الطعام فى هذا الفم .. ربما يشمئز الفم من اليد أو تشمئز اليد من الفم . لا يدرى بالضبط ..

شرب كأسًا أخرى ..

ثم اتجه إلى زجاجة الكيروسين وأغرق الورق والصور وكل شىء بالسائل قوى الرائحة ..

أشعل عود ثقاب وألقاه على هذا كله .. وراح يراقب الزهرة المغرورة الفاتنة تتوهج وتنمو ...

لن يقدر على أن يصير قربانًا لها ، فهو ما زال يخشى الألم برغم أن تطهير هذا الجسد الدنس بالنار شأن جميل ..

ترك الحريق المتأجج من خلفه واتجه للنافذة ..

وضع ركبته على الحافة ، ونظر لخلفه مرة أخيرة ثم وثب إلى الشارع ..

* * *

أما لويد جيمس سائق الحافلة ، فقـد كان فى موقـف أسوأ بكثير ..

كـان يقـود الحافلة بسرعة جنونية ، ويحـرك المقود يمينًا ويسارًا كى يختل توازن مهاجميه .

الحقيقـة أن ركـاب الحافلة بدءوا ينهضون ببطء .. يمشى الواحد منهم ممدود اليدين نحوه والغشاء يغلف أصابعه .. ينظر له بعينى السمكة الشاخصتين اللتين لا ترمشان .. رائحة السمك الكريهة ..

العدد يتزايد .. يبدو أنه ما من راكب ظل فى مقعده ..

يصيح فى جزع بصوت راعش :

ـ « يا سادة .. ليجلس الكل ! »

لكن أحدًا لم يطعه .. وسمع من يردد بصوت مكتوم لزج :

ـ « لارلياهل سيهويل فلجانجل دا لا »

راح يكرر بلهجة كالتوسل .. لكن أحدًا لم يصغ ...

كان يدرك جيدًا ما سيحدث ... يعرف الحادث الذى سيقع حالاً . لكنه يفضل هذا على أن تلمسه يد لزجة باردة من تلك الأيدى ...

إن الحافلة مندفعـــة على حافة أخدود .. مكـــان خطيـــر جدًّا ولا يناسب هذه المغامرات المخبولة ..

لا شك أن الحادث سيقع الآن .. سيقع لا محالة ...

نفروكانا اى حادوث ..

نفروكانا اى حادوث ..

10 ـ الجـزيـرة ..

رأت عبير الحافلة المحطمة على شاشة إحدى الفضائيات ، وخطر لها أن هؤلاء البريطانيين سعداء الحظ حقًّا .. الحافلات تنقلب عندهم لكن من دون جرائم قتل طقسية وكتولو وكل هذا الكلام الفارغ ..

تناولت جهاز التحكم عن بعد فى كسل ، وداعبت الأزرار ..

هنا رأت صور فيضان عنيف .. فيضان يشبه بالضبط صور تسونامى القديمة ..

أين هــذا ؟.. فى الأقيانوسية .. فى المحيط الهــادى فى تلك المنطقــة المربكــة التى تتضمن الملايو وأستراليا ونيوزيلندا وبابو غينيا الجديدة ..

باختصار تلك الجزر التى ترى فيها النخيل المائل على الشط ، ويشربون جوز ثمار جوز الهند ، ويلبس رجالها تنورة مزركشة يلفونها حول نصفهم الأسفل بينما يظلون عراة الجذع ..

الموج يتعالى ويفور .. ثم تنطلق الموجة الكاسحة ...

المنازل تتهاوى .. السيارات تطفو وتصدم بعضها ..

مشهد شنيع هــو بالضبط منظر تسونامى .. لا يختلف عنه تقريبًا ..

فيما عدا أن المذيع يؤكد :

ـ « لا يوجد مركز سيزموجرافى للزلازل .. الموجــة قادمة من بقعة فى المحيط الهادى قرب ميكرونيزيا .. »

فركت عبير كفيها .

يبدو أن اللعنـــة مستمرة إذن ... أشــياء غريبة لا تكف عن الحدوث ..

هناك ألف خبيــر يتكلم ، والمنظر يدل على مأساة حقيقية ... ربما كانت هذه صدفة على كل حـــال . لا يمكن أن تتهم زيارتها للافكرافت بكل مصيبة فى العالم . الفيضانات تحدث منـــذ وجــد الكون .. ويبدو لها أن هؤلاء القــوم فى جزر المحيط الهادى يعيشون فــوق غطاء إبريق .. يهتــز طيلة الوقــت بالزلازل أو ينفجر بالبراكين .. لو كانت مكانهم لهاجرت إلى أستراليا و...

ثم تذكرت أن أستراليا هى جزء من الأوقيانوسية !

* * *

فقط عنــد المســاء سجلت الأقمــار الصناعية مركــز هــذه الفيضانات ..

هناك قطعة من قاع المحيط ترتفع .. وهى التى سببت هذه الموجات القاتلة.. أما عن سبب ارتفاع قاع المحيط فسؤال علمى يمكن أن يغير كل ما نعــرفه من علم الجيولوجيا .. ســؤال لا يعرف إجابته العلماء ...

جهات علمية كثيرة اهتمت بالأمر .. هناك أكثــر من معهد يحمل كلمات (جيولوجيا المحيطات) فى اســمه اهتم بالأمر وكذلك ناسا ..

حلقت بعض الطائرات الأمريكية فوق مكان الموجات والتقطت بعض الصور ، ثم تم إرسال بعض قطع الأسطول الأمريكى إلى بقعة خارج الدوامات ...

كانت الحقيقة تتأكد فى كل لحظة .. هذه البقعة هى مركز هذه الموجات العاتية التى غيرت حياة الملايين ..

وبدا من صور الأقمار الصناعية أن هناك جزيرة قد ولدت .. جزيرة برزت للسطح من أعماق المحيط ..

وكان القرار الوحيد الممكن هو إرسال فريق من العلماء إلى تلك الجزيرة لدراستها .. لا شىء يفوق القدرة المعجزة لفريق ينزل على الأرض ويمشى فوقها ويلتقط صورًا ..

اليوم هو السابع من يوليو .. تحلق طائرة هليوكوبتر فوق مياه المحيط الثائرة .. متجهة إلى مركز هذه الدوامات الذى اصطلحت البحرية الأمريكية على تسميته (رأس الشيطان) ، وهو يختلف عن (رأس شيطان) عندنا فى مصر طبعًا ..

الحقيقة أن الأمر كان يوحى فعلاً بشيطان أخرج رأسه فثارت المياه من حوله .

على متن الطائرة تجد اثنين من علماء المحيطات ومصورًا وجيولوجيًا ...

الآن يرى ركاب الطائرة الجزيرة التى ولدت ..

يتبادلون النظرات ..

هذه الجزيرة عليها صخور ضخمة زلقة .. وعليها أكثر من تشكيل صخرى لا يمكن إلا أن يكون بناية .. بناية صنعها ذكاء شبه بشرى ..

هل كان هنـــاك سكان على هـــذه الجـــزيرة التى برزت من الأعماق ؟ ... إذن كانت هذه أرضًا مأهولة يومًا ما وفيها بشر ، ثم غمرها المحيط .. اليوم قرر أن يقيئها ثانية ..

ماذا عن قـــارة ليموريا ؟.. ألم يقولوا إنها كانت تمتد فى هذا الموضع تقريبًا قبـــل أن يغمرها المحيط ؟ هـــل هـــذا الكشف البيولوجى هو كشف القرن ؟.. ربما عدة قرون كذلك ...

إن التاريخ يكتب من جديد فى هذه اللحظات .. قارة غمرت منذ ملايين السنين ، ثم تعود للسطح اليوم بما عليها من أسرار .. صحيح أن ظهورها أحدث كارثة بيئية ، لكن كنوز المعرفة التى ستتدفق منه ستتفوق على السيول التى أغرقت تلك الجزر التعسة ...

مساحة الجزيرة تقترب من نصف فدان تقريبًا .. بالفعل هناك جدار صخرى يشبه معبدًا عتيقًا .. لا شك أن يد بشرية هى التى شيدت هذا المكان ..

الطائرة تهبط ببطء فى جزء أكثر استواء من غيره ..

يترجل العلماء فى حذر فــوق الأرض الزلقة ، وهم يصوبون الكاميرات .. الكاميرات التى تنقــل للقيادة ولناسا صورًا كاملة لهذا المكان المخيف ..

ما يجب أن تلاحظــه هو هــذه الزوايا العجيبة للبنـــاء . كل شىء يختلف عــن القــواعد الهندسية المعروفة .. هنا الزاوية المنفرجــة تســاوى 90 درجــة والزاويــة القــائمة تســاوى 180 درجة .. حيث الخط الرأسى يمتد أفقيًا .. وحيث تسقط الأجسام لأعلى ..

كل شىء كان غريبًا كأنها هلاوس المخــدرات .. هــل هى هلوسة جماعية ؟

النقطة الأخــرى الغريبة هى أن رائحــة المكان لعينة فعلاً .. هناك بخار أخضر يتصاعد من الأرض ، وهــذا البخار يخنق الأنفاس. لكن ما اسم هذا الغاز الغريب ؟

فجأة صاح (موريسون) وهو المصور :

ــ « هلا نظرتم لهذا ! »

هرع الرجال ينظرون ..

كان هناك جدار صخرى عليه نقوش غريبة .. لغة مبهمة مما يطلقون عليه اسم Asemic.

ـ « أى لغة هذه ؟ »

والأسوأ من هذا تلك الرسوم المنقوشة على الصخرة .. رسوم فى معظمها تبدو كأخطبوط عملاق له جسد بشرى .. أو عملاق ضخم له رأس أخطبوط ..

هناك عقل بشرى فى هذا المكان .. أو ـ للدقة ـ هناك عقل .. لا نعـرف إن كان بشريًّا أم لا ، لكنـه قادر على تشييد بنايات وصروح وقادر على الكتابة والرسم ..

كل لحظـة تمر كانـت تفعـم الرجـال إثـارة وحماسـة .. هـذا أهم كشف عرفـوه فى حياتهم . سـوف تحتـاج البشرية إلى أعـوام فوق هـذه الجزيرة لتصور كل شىء وتدرس كل شىء ..

ومن الطائرة اتصل أحدهم بالسفينة :

ــ « هذه جزيرة كانت عليها حياة فى زمن ما .. زمن سحيق جدًّا ... غمرت تحت المحيط واليــوم ظهــرت من جديد لسبب غامض .. »

هنا هتف أحد رفاقه :

ــ « انظر !!! »

واستدار العالم .. هنا رأى أسوأ كابوس يمكن أن يحدث ..

كان هنـــاك باب فى ذلك الصرح الحجـــرى .. لم يكن يفتح كأبوابنا بل هو يفتح بالورب .

كان الباب يتسع .. وظهر ممس عملاق يزيحه جانبًا ...

وفى اللحظة التالية برز جزء من رأس هائل عملاق .. رأس بحجم الطائرة التى جاءوا بها ، وفى منتصف الرأس كانت عينان تشعان نارًا وتقطران دمًا .... هــل هو فيــل أم أخطبوط أم هو كائن لا قبل للبشرية به ؟

لقد كان هذا الشىء المريع يخرج ...

ليس ممسًا واحدًا .. هناك ممسان .. ثلاثة ..

صرخ المصور :

ـ « يا إلهى الرحيم !.... لا تجعل هذا الذى نراه حقيقة ! »

بالفعل تمنوا جميعًا أن يكونوا قد جنوا أو فقدوا عقولهم . هناك هول لا يتحمله العقل البشرى مهما كان صلبًا قويًا ...

11 ـ فى بيته فى (رليه) ..

ما وصل إلى السفينة وإلى مركز القيادة كان مجموعة من الصرخات .. صرخات لم يسمعوا مثلها من قبل ، وتشوهت الصور على الشاشات .. كهرباء استاتيكية تحجب كل شىء ..

كثير من الناس لم يصدقوا .

تذكروا خدعة أورسون ويلز الإذاعية للأمريكيين ، عندما راح يحكى عن هبـوط سفينة فضاء من المريخ .. يصف المذيع المشهد .. يصف انفتاح الطبق .. يصف خروج شىء له ممسات .. ثم يصرخ وينقطع الإرسال .

أفلتت دعـابة ويلز مـن السيطرة ، وعمت الفوضى الطرقات وخـرج الأمريكان كلهم مـن بيوتهم إلى السيارات مهاجرين ، وانتحر عدد منهم بسبب الذعر من الغزو الفضائى ..

تذكر الناس هذه الخدعة وحسبوها شيئًا مماثلاً .

لكن القيادات العليا عرفت ـ فى كآبة الأخ الذى يعرف أكثر ـ أن هذا كله حقيقى ..

واضح أن البعثة أبيدت .. سحقت .. ديست ..

لم تعد هناك بعثــــة .. لكن الكلمات الأخيـــرة التى قالها الطاقم وصور الباب الذى ينفتح لم تفارق أذهان الأمريكيين ..

بعد ساعات حلقت طائرات الاستطلاع فوق الجزيرة الغامضة . أجمع العلماء الذين رأوا الصور على أنهم لم يروا شيئًا كهذا قط ..

كان هنـــاك شىء عملاق أسود ينمـــو على الجزيرة .. الرأس وحـــده فى حجم جبـــل صغير .. هنـــاك ممسات أخطبوط تحيط بالرأس ولا شك فى هذا ..

بعد مشاورات عديدة انطلقت قاذفة وسرب مقاتلات من حاملة طائرات قريبة .

الواقع أن المشهد بدا للقادة كأنها لقطات من فيلم مسوخ . تلك الأفلام التى يحمل اسمها علامة تعجب ضخمة .. ربما أفلام جودزيلا كذلك حيث هناك شىء ضخم يولد من المحيط ، وتقذفه المقاتلات بصواريخها وقنابلها .. لكن لا يبدو أن هذا يؤثر على الإطلاق ..

كأن هــذه الأسلحة المرعبــة التى هى ذروة تقدم الترسانة الأمريكية هى أسلحة فشنك ..

احترسوا يا سادة فالرعب قد ولد ..

احترسوا يا سادة فالحياة لن تظل كما كانت .

احترسوا يا سادة .. فقد كنا ننام فوق هذا الخطر ونسبح فوقه ولم نتصور أنه موجود ..

احترسوا يا سادة فالأمر أكبر من مجرد مسخ يحطم عدة مدن .. نحن نتكلم عن احتلال العالم ..

فى كل نظام قمعى يوجد هامش لحيــاة البشر ، لكن مع هذا الميلاد لن يكون هناك بشر أصلاً ..

تنحدر المقاتلة الأمريكية نحــو ذلك الجسم العملاق .. تصوب صواريخها نحو الرأس وتطلق .. فى اللحظة التالية يطير ممس عملاق بسرعة البرق ليضرب القمرة ويمزق رأس الطيار .. لابد أن هذا يحدث بسرعة الضــوء أو شىء قريب من هذا . تحترق الطائرة وتهوى لتغــوص فى المحيط ويتصاعد جبــل من المياه الثائرة الفائرة ..

ماذا يحدث هنا ؟

هل هى نهاية العالم ؟

* * *

عبير رأت الصــور فى التلفزيون وراحـــت ترتجف .. وكانت تعرف أكثر من سواها معنى ما تراه ..

لا شك فى هذا ..

كتولو !

الكابوس النائم تحت المحيط منذ ملايين السنين قد استيقظ .. بالضبط كما وصفه لافكرافت وتخيله ..

يمكنها أن تفهم ما حـــدث فى الأيام الماضية . كان هناك نوع من الطقوس يراد به أن تعاد الحياة لهذا المسخ .. المسخ القادم من الفضاء فى زمن سحيق ، والذى اعتبره البعض إلهًا ...

جرائم القتـــل الطقسى .. الجنـــون العام .. أكل لحوم البشر .. بـــلاد بأكملهـــا تتحـــول لمخلوقات بحـــرية كمـــا حـــدث فى (إينزماوث) ...

كل هذه صلوات من نوع خاص بغرض أن يجد المسخ العالم مستعدًّا .. لقد كان كتولو نائمًا فى بيتــه .. فنوجلوى مجلوناف كتولو رليه وجانانج فتاجن « أى فى بيته فى (رليه) ينتظر كتولو الميت ويحلم » .

يبدو أن النجــوم اتخذت الوضع المناسب الذى تمناه عبدالله الحظرد ، والذى كان لافكرافت يخشاه كثيرًا ..

مع كتولو سيصحو الآحاد القدامى ..

سوف يصير البشر كلهم عبيدًا لكتولو ، وســوف تسود ديانة الدم وتصير الأرض جحيمًا لا تقدر الشياطين على الحياة فيه ..

أيتها البشرية .. كنت تخشين جنكيز خان وهتلر .. تخشين أن يسود العــالم دكتاتور سفاح . اليوم ســوف يأتى كتولو فيدرك البشر أن هتلر كان لطيفًا وأقرب إلى ميكى ماوس ..

كانت معدتها تتقلص ، ودخلت الحمام عدة مرات ... هذا إسهال بلا شك ..

تجلس أمام السى إن إن تراقب الشاشة ، وتحاول فهم ما يقال بالإنجليزية .. فى عالم الواقع هى لا تتكلم إنجليزية جيدة ...

جنرال فى البنتاجون يظهــر فخــورًا يزدان صدره بالنياشين وشعر رأسه حليق بطريقة الطاقم المميزة للعسكريين .. جنرال سكوت مكوايرل المتخشب بادى القسوة ..

ويؤكد :

ـ « سوف نقصفه بالنووى .. We will nuke it »

هذه لحظة يحلم بها الأمريكان .. لذة القصف النووى ورؤية سحابة عش الغــراب تتعالى . جــو الكى الموحى بالنظافة وأن تحــرق أعداءك ليتحولوا لغبــار نووى .. هــذا يغريهم جــدًّا ، وهو الانتشاء الذى أظهره ستانلى كوبريك بوضوح فى آخر فيلم (د. سترانجلاف) .

وعند العصر انطلقت الطائرات الأمريكية لتلقى قنبلتين ذريتين فوق هذه الجزيرة المعزولة لحسن الحظ.

عندما سقطت القنبلة الأولى ارتفعــت مياه البحــر إلى عنان السماء ، وفار المحيط ، ثم تصاعدت سحابة عش الغراب .. الكثير من الانشطار والكثيــر من البلوتنيوم واليوارنيوم والبروتونات و ... و ... منهج كامل فى الفيزياء يتحقق ...

عندما دارت الطائرة لترى ما حدث لم تفهم شيئًا بسبب الدخان الكثيف .. وألقت الطائرة الثانية قنبلتها ثم ارتفعت ...

عندما بدأت السحابة تنقشع صرخ الطيار هلعًا .. لقد كان هذا الأخطبوط المخيف يتزايد ارتفاعًا وضخامة .. هناك شيء مثل مخالب السلطعون يحاول أن يبلغ الطائرة ...

أما عبير فجلست فى البيت تراقب هذه المشاهد فى ملل ..

لماذا يضيعون وقتهم فى هذا الكلام الفارغ ؟

كتولو ليس من عالمنا أصلاً .. بل هو من عالم نجمى كابوسى بعيد . لا تنطبق عليه قواعدنا الفيزيائية ولا يحترق بالنار أو يتجمد بالبرد أو يتأين .. هذه قوانين أرضية تنطبق علينا فقط ، كما أن قوانين المرور المصرية لا تنطبق على من يقود سيارته بسرعة فى تكساس .

لا بأس ..

لا أحد يعرف ما تعرفه هى لهذا يجربون ويضيعون وقتهم ..

سوف يدركون بعد قليل أن هذا ألعن كابوس مر بالبشرية .. هذه هى نهاية العالم كما نعرفه ، ونهاية التاريخ الحقيقية لا كما وصفها الخواجة فوكوياما .

على كل حال كانت عبير قــد اتخذت قرارها. تعرف ما سوف تفعله .. المهمة كلها على عاتقها فإن لم تقم بها فلن يقوم بها أحد آخر ..

أغلقت الغرفة عليها ثم قامت بتثبيت أقطاب دى جى ــ 2 إلى رأسها وأخذت شهيقًا عميقًا ..

سوف تعود إلى فانتازيا ..

سوف تعود إلى آرخام ..

12 ـ وحدى مع لافكرافت ..

قال لها المرشد وهو يضغط على زنبرك القلم اللعين إياه :

ـ « بهـــذه السرعـــة تعودين لفانتازيا ؟.. ماذا ترغبيـــن فى تجربته اليوم ؟ هل لى أن أقترح عوالم يوسف إدريس ؟ »

فى تصميم قالت :

ـ « لافكرافت ! »

قال ما معناه (خير اللهم اجعله خيرًا) .. ثم تساءل عن السبب وراء هذا التكرار ، فقالت إنها قصة يطول شرحها .. العالم الذى نعرفه يتآكل ببساطة .. تريد معونة الرجل الكبير ..

هكذا دارت العجلة من جديد ..

مصحة آرخـــام ... الأبواب تنفتح .. الحراس الغلاظ شديدو الشراسة .. الممـــرات المظلمة والظلام والرائحـــة الكريهة .. صوت الخطوات .. صراخ المعذبين فى أقبية المستنطق ...

فى النهاية تدخل إلى تلك الغرفة الضيقة الكئيبة ...

كان هناك مستمرًا فى الكتابة فى ضوء خافت ضيق يهبط من أعلى .. وكان يردد بصوت رتيب :

ـ « هل تحسب أن للزمن والقيمة معنى ؟؟ هـل تحسب أن هناك ما يدعى بالشكل والمادة ؟.. لقد اخترقت ورأيت حدود اللانهاية وأسعدت الظلال التى تعبر من عالم لآخر لتبذر الموت والعـدم . إن الفضاء ملكى أنا .. هـل تسمعنى ؟.. ثمة أشياء تلاحقنى .. أشياء تلتهم وتذيب .. لكنى أعرف كيف أتفاداها .. »

قالت عبير همسًا :

ـ « سيد هوارد .. »

لكنه واصل الكلام :

ـ « أنا كيان شبيه بالـذى تكونه أنت نفسك عنـدما يحررك النوم . أنا أخوك الضوئى . نحن نحيا فى فضاء بلا نهاية .. ونعيش فى زمن بلا نهاية .. ونعيش فى زمن بلا نهاية .. »

قاطعته فى إصرار :

ـ « سيد هوارد .. أرجو أن تخرس قليلاً ! »

رفع عينه نحوها كأنه لم يرها إلا الآن .. وتساءل :

ــ « لماذا ؟ »

ــ « لأن خيالك السقيم يتحــول لحقــائق .. إن كتولو يغــزو عالمى الآن ... »

اتسعت عيناه وراح يصغى لما تقول بينما شفته ترتجف .. يده ترتجف .. جفنه الأيسر يرتجف ..

راحت تحكى له القصة كاملة ، وهو يصغى باهتمام . فى اللحظة التالية ظهر جواره رجل كان متواريًا فى الظلال ، وله نظرة ليست أقل جنونًا . رجل آخر جاحظ العينين يبدو أصغر سنًّا ..

سألت فى شك :

ــ « من هذا السيد ؟ »

تنحنح الرجل جاحظ العينين وقال :

ــ « أنا تلميذ لافكرافت .. اسمى (روبرت بلوخ) .. لو كنت قد قرأت قصـــة (سايكو) أو رأيت فيلم هتشكوك الشهير فأنت تعرفين من أنا .. لقــد كنت أتبادل مراسلات منتظمة مع هــذا العبقرى وسمح لى بأن أستعمل اسمه فى أى قصة لى . إن تلاميذ لافكرافت كثيرون ومنهم أوجست ديرليث وبرايان لوملى وأنا .. »

قال له لافكرافت مفكرًا :

ــ « ماذا ترى يا روبرت ؟.. ماذا أفعله ؟ »

قال بلوخ على الفور :

ــ « أقترح أن تذهب لعالمها يا سيدى .. فى النهاية نحن مسئولون أخلاقيًا عن المسوخ التى صنعناها .. عندما تتحرر هذه المسوخ وتخرج للبشر يكون علينا أن نخلصهم منها .. »

ــ « ربما كنت على حق .. »

نهض لافكرافت ونزع عويناته ، ثم أغلق المجلد الذى يكتب فيه .. وقال :

ــ « ليكن .. يبدو أن هذا ضرورى فعلاً .. »

تساءلت عبير :

ــ « هل بوسعك أن تعبر لعالم الواقع ؟.. هل يمكنك مغادرة المصحة أصلاً ؟ »

ــ « لِمَ لا ؟.. أنا مجرد ذكرى .. فكرة .. لا تنطبق على القوانين المادية إلا هنا . قوانين فانتازيا لا تسرى إلا فى فانتازيا .. »

ـ « وهل تعرف ما يجب عمله ؟ »

ـ « لا .. لكن أعتقد أن بوسعى أن أفكر فى مخرج للبشرية .. إن الهول القـادم لا يصـدق ولا يوصف ، وأنا أكره أن أرى البشرية تحت سيطرة الذى لا اسم له .. »

ـ « هل يمكن أن تحاول كتابة نهاية لهذا الكابوس فى إحدى قصصك ؟ »

ابتسم ابتسامة مريرة :

ـ « للأسف كتولو أقـوى من هـذا .. إنه لا يخضع لمزاجى الخاص . فى رأيى أننى عندما كتبت عن كتولو كنت أصف ظاهرة طبيعية ولم أكتب قصة ... الكتابة عن جبل كليمنجارو لا يعنى أنى أوجدت هذا الجبل . فقط وصفت ما هو موجود فعلاً .. »

لم تفهم عبير جيدًا وشعرت أنها توشك على فقدان الوعى .. لذا نهضت مع لافكرافت ومشت معه إلى باب الزنزانة .. وفى هذه المرة بدا أن أيًا من الحراس لا يريد أن يسجنه فى آرخام .

عندما مرت عبيـر عبر دوامة الزمـن وعبرت بين عالمين ، أدركت فى النهاية أنها تقف فـوق صخرة عالية والهواء يطير

أطراف ثوبها .. ترى منظرًا بانوراميا لساحل كئيب تصطرع فيه الأمواج مع طيور النورس التى تحاول البقاء حية ، بينما تشمخ صخور وسط المياه منذرة بالويل للقوارب التى تدنو . ومن بعيد رأت فنارًا يوحى باقتراب مصيبة ..

وأدركت كذلك أن الرجل غريب الأطوار لافكرافت يقف بجوارها .. وهو يهمس فى انتشاء :

ـ « بروفيدانس !!! »

* * *

قال لها لافكرافت وهما يهبطان فوق الصخور الوعرة :

ـ « أسعد أيام حياتى كانت فى بروفيدانس .. أيام امتزجت بالحلم والخيال وقصص ألف ليلة وليلة ، بينما ألعن أيامى كانت فى نيويورك . بروفيدانس ـ أى (العناية الإلهية) ـ هى عاصمة رود آيلاند فى نيو إنجلند . تأسست عام 1636 لتكون ملاذًا دينيًا للراغبين فى حرية العقيدة .. حاليًا يطلقون عليها (خلية نحل الصناعة) .. »



كان هناك كوخ فوق الصخور يطل على ساحل صغير .. بيت من أخشاب يبدو كأن نجارًا غير محترف قام ببنائه ..

بدا واضحًا أنه يقودها إلى هناك .. وهو يقول :

ـ « ما زال هــذا البيت الصغير قائمًا .. كنت ألهــو فيه فى طفولتى .. »

ـ « هــذا جميل .. لكن ما زلت لا أفهم ســبب مجيئنا له .. ليس هذا أفضل وقت لاجترار الذكريات .. »

ـ « بل هو الوقت المناسب .. فى بروفيدانس يصفو عقلى وأستطيع التفكير .. »

فتح الباب الخشبى فدوى صوت صرير يصم الأذن ، وتساقط غبار الأيام من فوق الباب .. رائحة القدم .. وفى الداخل رأت عبير فراشًا ومكتبًا ومدفأة وضع عليها إناء طهى .. وكانت هناك غرفة جانبية مغلقة . لكن لافكرافت لم يبد مهتمًّا بهذا كله ..

دعاها إلى تحت .

تحت هذه كانت درجات خشبية تقود إلى بدروم . وبرغم وهنه الواضح وبرغم مشيته المترنحة ، فإنه أمسك بيدها واقتادها عبر الدرجات ..

وحدى مع لافكرافت ..

وحدى مع لافكرافت فى قبو كــوخ متداع مظلم رطب .. وهذا الكوخ فى بروفيدانس كذلك ..

إن فانتازيا تقودها فعلاً إلى مواقف عجيبة وأماكن أعجب .

13 ـ عـودة البـارون ..

كان القبو مظلمًا والفئران تتواثب ..

مد الرجـلُ الكبير يده وأوقـد شمعة . هـذا الضوء الرقراق الرهيب جعلها تزداد تشاؤمًا .

هناك كان كم هائل مـن الأوراق المغبـرة والملفات .. ملفات تحتاج إلى سنين لتفحصها .

هناك رفوف كتب وشموع . هناك ورقـة معلقـة عليها رسم تنين كتبت كلمات مبهمة عند ذيله :

ياى نجناه .. يوج سوثوث

هى لجيب

فاى ثرودوج ... جيب ليب

كانت هناك منضدة عليها أنابيب اختبار . قوارير لا حصر لها تشبه معامل السيميائيين الباحثين عن حجر الفلاسفة فى الماضى . وقـد كتب على بعض القوارير كلمـة (كستودز) وعلى بعضها

(ماتريا) . وكل زجاجة مسدودة بالمعــدن ... فى كل زجاجة مسحوق له لون خاص .

ما هذا المكان ؟

الأهم أن رائحـــة كريهة تغمر كل شىء .. رائحـــة لا يمكن تفسيرها بالقدم أو الزمن . ثمة شىء متحلل هنا لا شك فى هذا .

قالت له فى دهشة :

ـ « ما هذا المكان بالضبط ؟ »

ببساطة قال :

ـ « عرين نكرومانسى .. طبعًا .. هنا نمارس فنون استحضار معلومات الموتى .. عن طريق التعذيب . هلا قربت كفك ؟ »

مدت يدها فى حذر فتنـــاول قارورة صغيرة ، سكب بعضًا من محتواها فى كفها .

هــذا مسحوق أخضر ناعم غريب الخــواص لأنه لا يلتصق بالكف .. نفضــت كفها فلم يبــق شىء مــن المسحوق عليه . ما معنى هذا ؟

قال باسمًا :

ــ « هذه أملاح مستخلصة من الموتى . ونحن نعيد لها الحياة بشكل مؤقت .. (كستودز) أملاح مأخوذة مــن الحراس .. حراس سورٍ هادريان . بعــد آلاف السنين يمكنك العــودة إلى هؤلاء الرومان .. »

كانت هى منهمكة فى حك كفها فى الجدار فى اشمئزاز ، وهى تردد عبارات من قبيل :

ــ « الله يقرفك يا شيخ ! »

لكنه لم يهتم ..

جلس إلى منضدة متداعية هناك عليها شمعة . أشعل الشمعة ثم جلس . ومد يده يتناول مجلدًا ضخمًا مصفر الأوراق مكسوًّا بالغبار ..

فتح المجلد وراح يجول عبر الصفحات ..

قال ويده ترتجف بلا هوادة :

ــ « الوهن العصبى .. الوهن العصبى قديم فى أسرتى . كان أبى فى غيبوبة طويلة وظللت عامين يقال لى إن أبى غاف الآن

فلا توقظه . أعتقد أنه كـــان فى المراحـــل الأخيرة من زهرى الجهاز العصبى . لقـــد ظللت أرتقب هـــذه اللحظة وأخشاها .. اللحظة التى يعبر فيها كتولو إلى عالمنا .. اللحظة التى يصحو فيها حيث كان غافيًا فى أعماق المحيط .. »

حكت عبيـــر شعرها فى عصـــبية وجلست أمامه على الأرض المغبرة ، وقالت :

ــ « لحظة من فضلك .. أنا موشكة على الجنون .. ما أعرفه هو أن كتولو هذا لا وجود له . هذا من بنات أفكارك لو سمحت لى بالتعبير .. إذن هو موجود فى فانتازيا وفاتك فى فانتازيا ، لكن ما دخله بعالمنا هذا ؟ »

ــ « كتولو قادر على العبـــور من عالم الخيال لعالم الواقع .. قلت لك إننى أصف جبل كليمنجارو ولم أخلقه ! »

تبًّا لهذا الخبال !.. مـــن المستحيل الكلام مع هـــذا اللافكرافت بطريقة منطقية ، ففكرة الدمار ويوم القيامة الذى سيجلبه كتولو تسيطر عليه بشدة ..

نهض واتجـــه إلى القوارير الموضوعة على المنضدة ، فراح يتصفح الأسماء الملصقة على كل أنبوب ..

ثم هز رأسه وقال لها :

ـ « أقترح أن تنامى قليلاً لتستعيدى قواك .. فى الوقت ذاته سوف أجد فى هذه الكتب طريقة القضاء على كتولو .. »

صعدت فى الدرج ، وأغفت فى الفراش غير المريح . الفراش الذى لم ينم فيه أحد منذ 100 عام تقريبًا . هذا ليس بالشعور المحبب ..

كان نومها شنيعًا قلقًا .. العرق .. الصراخ .. صوت الأمواج من بعيد .. ما السر الرهيب الذى عرفه آرثر جرمين ؟.. لماذا يتوارى د. مونوز فى غرفته ولا يخرج أبدًا مع رائحة النشادر وكل هذا البرد ؟.. وماذا عن السر الذى هبط على بلدة إينزماوث ؟.. ما الصفقة التى عقدها أوبيد مارش مع شياطين البحر ؟

نهضت من نومها شاعرة بظمأ شديد ..

العرق الذى أغرق الحشايا قد أفرغ جسدها من كل قطرة ماء فعلاً ..

بحثت عن ماء فلم تجد .. أين لافكرافت ؟.. هل ما زال فى القبو كما هو ؟

نزلت الدرجات الكئيبة إلى القبو ، فكان ما رأته لا يصدق ..

كان لافكرافت هناك جاثيًا على ركبته ..

كان يمسك بقارورة مفتوحة ، ومحتويات القارورة مبعثرة فى كل اتجاه .. مسحوق أزرق ومسحوق أخضر .. يبـــدو أنه خلط المكونات ...

يردد بلا توقف :

ـ « نفروكانا اى حادوث.. نفروكانا اى حادوث .. »

الأخطر هو تلك النجمـــة الخماسية التى تتوسط المكان ، وقد رسمت بالطبشور .. هناك دخان ضبابى أخضر يتصاعد بكثافة من المركز .. لا تستطيع فهم ما يدور ..

هرعت لتمسك بكتفه فى هستيريا وتصيح :

ــ « مستر لافكرافت ... ماذا تفعل ؟ »

كان يرتجف كورقة وهو يردد بلاتوقف :

ـ « نفروكانا اى حادوث .. نفروكانا اى حادوث .. »

وهنـــا بدأت فى هلع تدرك أن هنـــاك شخصًا يتجســـد وســـط الدخان .. شخصًا يتحرك .. شخصًا يلبس دروعًا ثقيلة تجعله ضخمًا كتنين ..

ومن وسط الدخان رأت ذلك العملاق يخرج ..

نارى النظرات مشعث اللحية منكوش الشعر .. يلبس دروعًا تشى بأنه من سادة القرون الوسطى وعباءة طويلة يجرها خلفه وهو يخرج من المركز ... له رائحة خانقة غريبة كأنها الكبريت ..

الكـــوخ يهتز لخطواته الثقيلة ، بينما لافكرافت الراكـــع على ركبتيه يقول :

ـ « البارون فيرنكزى هنا .. إن هذا الشرف ليفوق قدراتى على التحمل .. »

يقف فيرنكزى والدخان يتصاعد منه أمام لافكرافت ، ويتصاعد صوت زفيره كأننا نتكلم عن جهاز رئة صناعية ، ويقول بصوت غليظ ولكنة رومانية واضحة :

ـ « هل لديك نبيـــذ ؟.. إن الرحلة الطويلة والغبار قد جعلا حلقى جافًا .. »

ــ « لا نبيذ يا سيدى .. لا نبيذ .. الخمر تتلف الأملاح ... لن نجازف .. »

دنت عبير راجفة من لافكرافت وتساءلت :

ــ « من هذا الفيرنكزى ؟ »

استدار نحوها بعينين متسعتين .. العينين اللتين يفزعك النظر فيهما ، وقال :

ــ « صه !... لقد استعدت كيانه عن طريق الأملاح المحفوظة .. أنا قد مارست النكرومانسى .. هذا الرجل جاء من رومانيا ومن وراء عالمنا .. »

حاولت ألا تنظر للبارون وقالت :

ــ « ما معنى هذا ؟ ولماذا تحتاج له ؟ »

ــ « البارون فيرينكزى ساحر عظيم مخيف القدرات .. لو كان هناك من يعرف أسرار كتولو على وجه الأرض فهو هذا الرجل .. »

ثم صحح كلماته :

ــ « من كان رجلاً .. »

من كان رجلاً ؟

هذا يدل على أن فيرنكزى كان شيئًا منذ بضع دقائق .. بينما هى نائمة قام لافكرافت بأداء طقوس مخيفة استعادت هذا الشىء ...

كانت عبير تذكر شيئًا كهذا من قصة (تشارلز دكستر وارد) . كانت هناك مراسلات بين الرجل الشرير جوزيف كوروين وساحر رومانى يدعى (فيرنكزى) .. نعــرف من ســياق القصة أن فيرنكزى هذا مات منذ 150 سنة . لقد توصل كوروين إلى أسرار النكرومانسى وحول مزرعته المنعزلة إلى عرين لممارسة هــذا الفن المشئوم .. وبالطبع لم تكن كل نتائج النكرومانسى موفقة ــ تذكر ما حدث مع النعجة دوللى ــ فالعلم لا ينجح دائمًا .. هكذا كان يحرق نتائج كثيرة جدًا ، كما أنه كان يجلب كميات هائلة من اللحم للمزرعة ليطعم تلك المسوخ ..

يبدو أن لافكرافت لا يعرف كيف يعيد وحوشه إلى عالم الخيال ، لهذا استقدم هذا الفيرنكزى الشرير كى يستعين بعلمه ..

إن الصورة تزداد قتـــامة .. لكن مـــن يدرى ؟.. لربما كانت قاعدة أن الحديد لا يفله إلا الحديد صادقة هنا .. لربما كان الأخ فيرنكزى يملك حلاً ...

* * *

14 ـ كتولو فتاجن ..

فى هذا الوقت كان العالم يمر بألعن لحظات ممكنة ..

فى أكثر من بقعة بحرية بدأت المياه تفور ، ثم ارتفع إلى السطح شىء صخرى يشبه تلك الجزيرة التى وجدوا فيها كتولو ..

ومع المياه الفائرة كانوا يرون كائنًا ضخمًا آخر يتحرك ... كائنًا له سمات المخلوقات البحرية مع لمحة بشرية كابوسية .. أنت تأكل الإستاكوزا ، لكنك لا تتصور أن ترى إستاكوزا تحمل صفات بشرية وتمشى على قدمين ....

وفى معظم جزر المحيط الهادى تذكر الكهنة والأجداد عقيدة قديمة اندثرت منذ دهور . وهكذا خرج الكهنة يحملون عصيهم التى تحمل أخطبوطًا صغيرًا فى طرفها ووقفوا يلوحون للجميع .. عندها يجثو سكان القبيلة راكعين ..

يهتف الكاهن والزبد يسيل من شدقيه وهو فى حالة غيبوبة بفعل أعشاب غريبة :

ـ « كتولو .. كتولو فتاجن .. فنوجلوى مجلوناف كتولو رليه وجانانج فتاجن .. »

عندها يهتف القوم وراءه :

ـــ « كتولو فتاجن ! »

ينظرون جميعًا للبحر فى رعــب وأمل . لعــل هــذا التوسل يمنحهم رحمة هــذا المسخ العائد ، ولكن هــل تتوقع رحمة من أخطبوط ؟.. كم مرة سلقت فيها الكابوريا الحية ووقفت تراقبها وهى تتلوى وتحاول الفــرار بينما لونها يحمــر وتهلك ؟.. هل شعرت برحمة ؟ هل رققت لها ؟... إذن لماذا تتوقع أن ترق لك هذه الكائنات البحرية وقد انعكست لعبة الأحجام ؟

أما العــالم كله فراح يراقب المشهد معــدوم الحيلة لا يعرف ما يفعله . الحقيقة أن الحكومة الأمريكية والروسية فجرتا عشرات القنابل النووية فى المحيط الهادى ، وقد زاد هذا موجات التسونامى بالفعل ، وبرغم هذا لم يخدش كائن واحد ..

فى نشرات الأخبار بدأ الاسم الحقيقى يتردد :

ـــ « لقد جاء كتولو والآحاد القدامى !! »

لقد تذكروا ما كتبه لافكرافت .. وعرفوا أن كابوس هذا الأديب العبقرى يتحقق ..

كان الناس يصرخون ويجرون فى الطرقات ، وازدحمت دور العبادة بأناس باكين يدعـــون الله أن يرحمهم .. أما من لا يملك إيمانًا فقد اكتفى بأن يلهب رأســـه بالرصاص أو يثب من فوق بناية عالية .. فضل العـــودة لحالة الكربـــون والنتروجين على انتظار الهول القادم . ربما يندم فيما بعـــد على أنه لم يقتل نفسه عندما كان هذا ممكنًا ..

* * *

وفى الإسكندرية فوجئ النـــاس بحشـــد غـــريب يمشى على الكورنيش ..

فى البدء ظن رجال الأمن أنها مظاهرة . لكنهم دققـــوا النظر فأدركوا أنها مسيرة .. مسيرة لسكان من المدينة تتجه إلى نهاية الكورنيش ، وكل هذا مقبول ..

لكن لماذا تتصاعد منهم رائحة الأسماك هذه ؟

لماذا ينظرون أمامهم بعيون شاخصة متجمدة زجاجية ؟ لماذا يزومون ؟.. لماذا هم مغطون بالقشور ولماذا توجد أغشية بين أناملهم ؟

على الضوء الخافت القادم من أعمدة النور يدرك الناس الذين وقفوا أمام المطاعم والمقاهى أنهم يرون ظاهرة مروعة ...

ما سر هذا التشوه الذى أصاب الناس ؟

نفس هذا المشهد تكرر كثيـــرًا فى أى مدينـــة ساحلية ، وكان ينتهى على الأرجح بأن تتجــه الجموع إلى البحر وتغوص فيه مختفية ...

لابد أن كل بيت شهد قصة مخيفة لتغيرات غير مفهومة لأحد أفراده .. لابد أن هناك فترة طويلة كف فيها هذا الفرد عن الأكل والحياة الاجتماعية .. لماذا لم تعد عيناه ترمشان ؟ لماذا تنتشر هذه القشور على جلده ؟....

الرائحة الكريهة الشبيهة برائحة السمك الفاسد تملأ البيت ، ثم تأتى اللحظة التى ينطلق بها هذا الفرد إلى الشارع لينضم لمسيرة تحتشد فى الشارع ..

المجتمع يتحول لكائنات بحرية ..

هل يوجد شيء كهذا ؟.. هل من تفسير لهذه الظاهرة المريبة ؟

لا أحد يعرف .. قيل إنه مرض غريب ، وتكلم الأطباء عن داء (تصلب الجلد Scleroderma) الذى يبدل شكل الوجه إلى ملامح السمكة .. وتكلم أطبـــاء الجلدية عن أمراض تغطى الجلد بقشور كقشور السمك ، لكن ظل الربط بين هذا كله صعبًا ..

لم يعرف أحـــد أن الظـــل الذى ســـقط فوق إينزماوث يومًا ، قد سقط فوق الإسكندرية اليوم .. سقط فوق كل مكان ..

* * *

ـ « أريد بعض النبيذ ! »

قالها فيرنكزى وهـــو يضرب المنضـــدة بقبضته فى عصبية ، وعيناه تتقدان نارًا ، حتى إن عبير كادت تفقـــد وعيها رعبًا .. لكن لافكرافت تماسك وقال من جديد :

ـ « النبيـــذ يتلف الأمـــلاح يا سيدى .. ســـوف تتحـــول إلى غبـــار .. »

ــ « حلقى جاف .. عليكم اللعنة .. »

ثم نهض بجسده الضخم القوى ، والذى زادته الدروع ضخامة ، فاتجه نحــو عبير التى كانت ترتجف ذعــرًا فأمسك بمعصمها لتنغرس مخالبه الطويلة فى لحمها .. وقال فى غلظة :

ــ « نحيلة جدًّا .. قبيحة جدًّا .. فيرنكزى بحاجة للنساء لكن هذه لا تصلح البتة .. هى أقرب لسحلية كبيرة .. لقد رأى فيرنكزى صراصير أكثر حسنًا وإغراء ! »

قال لافكرافت بسرعة لينقذ الموقف :

ــ « هى لا تناسبك بتاتًا أيها الساحر العظيم .. دعها .. لدى أملاح أميرات رومانيات بارعات الحسن .. »

أطلق فيرنكزى معصمها فتنهدت للخــلاص .. هناك لحظات تغبط فيها المرأة نفسها لأنها قبيحة . تذكرت كيف كانت الأمهات السوفيتيات يلطخن وجوه بناتهن بالقاذورات قبل وصول الجنود النازيين ..

التحــرش شىء قبيــح .. لكن ماذا عــن تحرش ساحر ميت متحلل ضخم كهذا ؟

مشى فيرنكزى فى الكوخ مفكرًا وسأل :

ــ « هل أعدت (أوبيد مارش) لعالمنا ؟ »

ــ « نعم .. أملاحه كانت لدى .. »

كانت عبير تذكر الاسم .. أوبيد مارش هو الجد الأكبر الصياد الذى كان يعانى من نقص الأسماك ، ثم باع روحه للشيطان ونذر قومه لسادة المحيط والآحاد القدامى .. هكذا صار الصيد وافرًا وتزاوج الصيادون من سادة المحيط وأنجبوا منهم .. ومع الوقت اكتسب الناس سحنة إينزماوث التى تذكرك بالضفادع أو الأسماك .. لقد ولدت سلالة جديدة سرعان ما تعود لقاع المحيط من جديد ..

لكن لماذا يعيدون أوبيد مارش لعالمنا ؟ ما نفعه ؟

قالت للافكرافت همسًا :

ــ « أنت استعنت بفرينكزى .. هذا مفهوم . لكن ماذا عن أوبيد مارش هذا ؟.. لا جدوى منه لعالمنا ولن يقدم شيئًا .. »

قال لافكرافت فى كآبة :

ــ « هــو قريب بالنسب للآحاد القدامى .. تعرفين أنه تزوج منهم وذريته تنتمى لهم .. »

ــ « هل تعنى أنك ستستعمله كوساطة صلح مع كتولو ؟ »

ــ « بالطبــع لا .. لا يمكن التفــاهم مع كتولو .. لكن أوبيد مارش قد يجد أجوبة .. »

كانت تشعر بحيرة بالغة .. الأمــور تسوء .. ليتها تفيق من هذا لتدرك أنه كابوس .. كل شىء يوحى بذلك ، لكن ما ألعن الكابوس الذى لا نفيق منه ..

هو تكلم عن نهاية العالم كما نعرفه .. كان محقًا فى ذلك .. كل شىء يتغير .. لم يبق حجر على حجر .. فى كل مكان هناك أشخاص يتشاجرون .. هنــاك عشاق يطلقــون الرصاص على حبيباتهم .. هناك طائرات تقصف المدارس فى وطنها .. المحيط يفور وتخرج منه تلك الكائنات المخيفة .. الناس يتبدلون إلى كائنات بحرية وينزلون فى المحيط ليختفوا نهائيًا ....

البرق يشق السماء .. والرعد يهز الأرض تحت قدميها ..

لقد جاء كل هذا من فانتازيا ، لكنها تتوق إلى أن تهرب إلى فانتازيا لتنسى !

15 ـ إنـه الخـوف ..

الخوف هو أقدم وأقوى عاطفة عرفها الإنسان ، وأقوى وأقدم نوع من الخوف هو الخوف من المجهول .

هــ . ب. لافكرافت

* * *

الحقيقة أن العالم كله كان يتجه للجحيم ..

فى مكان ما هناك تجربة د. تلنجاست التى تتعلق بتنبيه الجسم الصنوبرى مما يسمح للإنسان أن يرى الحقائق الخفية فى العالم .. إن خمس حواس لا تكفى لرؤية العالم .. تلنجاست استطاع أن يهشم الحواجز التى تحيط بنا لنرى ما كنا لا نراه ونسمع ما كنا لا نسمعه . هكذا استطاع أن يرى ما يجعل الكلب ينبح فى الظلام وما يجعل القطط تحك آذانها .

لقـد اسـتطاع تلنجاسـت أن يثبـت أن الجسـم الصنوبرى الذى اعتقـد علمـاء الغـدد الصم أنه بلا جدوى .. أثبت أنه أهم عضو فى أجسادنا . وهكذا استطاع أن يرى العـالم من حوله

مزدحمًا صاخبًا .. كائنات لم ترها عين من قبل ، وأجسام كقناديل البحر تسبح حولك وتلتهم بعضها ..

بالنسبة للناس قد جن تلنجاست .. لكنه فى الحقيقة قد اقترب فرأى .. رأى السر بوضوح تام .

* * *

وفى تلك القــرى بالمنوفية رأى الفلاحــون ذلك الرجل فارع الطول يمشى .. رجلاً لم يروه من قبل ، وله ملامح لم يعهدوها قــط .. يذكرك نوعًا بنقش فرعــونى متحــرك . كانوا يخشون الاقتراب منه لسبب لا يعرفونه ..

كان قد تجاسر ووقف عنــد الترعـــة حيث كانت نساء القرية يغسلن الثياب أو يستحممن . لم يجسر أى شاب من أهالى القرية على الدنو من هنا ، فكيف يقبلون ذلك من غريب ..

لكن عندما تجرأ بعض الشــباب ليفهموا من هــو . وعندما لوحوا بالعصى مهددين ، عندها أدركوا أن هذا ليس بشرًا ..

لقد تحول إلى ما يشبه نجمة بحر خماسية عملاقة .. الرأس تخرج منه ممصات تتلوى فى كل اتجاه ..

لم يفهم هؤلاء المساكين أنهم جسروا على استفزاز (نيارلاثوتيب) .. واحد من الآحاد القدامى له القدرة على المشى فى الأرض والظهور كرجل عادى ..

إنه يتكلم كالبشر وليس وحشاً مثل كتولو ويوج سوثوث ... وهو خادم لأزوثوث .. لكنه يحول البشر إلى خدم له يتبعونه فى كل مكان ..

إن (نيارلاثوتيب) يتواجد فى أكثر من مكان فى الوقت ذاته ..

لقد خرج من قصة قصيرة للافكرافت ، ويبدو أنه جاء أرضنا هذه ليبقى ..

* * *

فى مكان ما فى كوخ ما فى جبال تمبست يغفو بطلنا جوار المدفأة مع رجلين شجاعين جاءا معه ليقابلوا الخوف الكامن Lurking fear ..

لا يعرف البطل أنه سيصحو ليكتشف أنه وحده وأن رفيقيه اختفيا ولن يرجعا . لكنه سيرى مشهداً وظلاً يجعلانه يفقد

صوابه للأبد . وفى كوخ آخر ينتظر أحد الأبطال مع صديقه قدوم الخوف الكامن ..

يشق لسان برق السماء وينظر الصديق خارج النافذة .. يظل ثابتًا حيث هو برغم أن بطل القصة يناديه عدة مرات ..

عندما يدنو البطــل من صاحبه ويدير وجهه يكتشف أنه قــد انتزع بالكامل .. لم يعد لصديقه وجه ..

* * *

فى قبــو بيت فى بوسطون ينهمك الفنـــان بيكمان فى رسم لوحات مفزعة لمسوخ تسكن شبكة المترو تحــت المدينة . هذه المسوخ تخرج من وقت لآخــر لتهاجم ركـــاب المترو وتلتهمهم وتمزقهم ..

يرسم رسومًا شنيعة فعلاً ، لكن الحقيقة التى لا يعرفها كل من يشاهد لوحاته هى أنه يرسم موديلات حقيقيـــة .. يرسم مسوخًا تخرج له من القبــو ..

يقع هذا البيت فى شارع نصف مألوف تحيط به بيوت عتيقة . هــذا شـــارع (تشارتر) ثم شـــارع (هانوفر) .. عنــد ركن (جوى) ..

هناك بيت آخر فى شارع تحيط به مستودعات بنيت من قرميد ، ويعبره جسر من الحجر الأسود . ثمة نهر أسود دائمًا كأن دخان المصانع القريبــة يحجب عنــه الشمس للأبد . ومياهه خبيثة الرائحة . أخيــرًا تصل لممر مبلط بحجــر الإسكافى يقودك إلى شارع (دوسيه) .

فى الطابق الخامس وجد الملحن إريك زان إلهامه الخاص ، فراح يعزف الكمان بسرعة جنونية وصوت رفيع صارخ .. عيناه مجنونتان تذكرانك بيوســف وهبى عنــدما كــان يبالغ فى أدائه ليستمتع بدور عازف الكمان المجنون .. ولاحظ سكان الشارع أن الغيوم تتجمع فى السماء وأن البرق يضرب ..

القطط وقفت فى الشارع محتشدة وراحت تموء .. وانتصب الفراء حول أعناقها ....

إن الشيطان نفسه يعــزف ، لكنــه يستعمل إريك زان ككمان كبير ...

النغمات تتصاعد ، وفى الوقت نفســه يرســم بيكمان بسرعة أكبر ....

وأمام بيت مهجــور فى بروفيدانس يتكلم رجــلان همسًا عن الذى لا اسم له .. تنفتح نافذة صغيرة فى العلية ويطل منها رأس تيس ..

وفى مختبر قريب يعكف عالم على إعادة تحريك الجثث ..

* * *

هل هى نهاية العالم فعلاً ؟

لا تنجبوا أطفالاً .. لا تقعوا فى الحب ..

لا تأتوا بأطفال أبرياء لهــذا الجحيم .. لا تبدءوا الحياة بينما الحياة ذاتها تنتهى ..

ابتعــدوا عن الأمل فهــو قاس .. إنه شبيه بكأس ماء بارد يوضع تحت شفتى ظمآن ثم ينتزع انتزاعًا ..

ابتعدوا عن النور وعن الشمس ..

عندما يكتمل مجد كتولو والآحاد القدامى لن تكون هناك شمس ..

لا رحمة .. لا شفقة ..

ســوف تندمون لأن هولاكو وهتلر وأتيــلا ليســوا هم الذين يحكمونكم ..

16 ـ أنــت فعلت !

كانت عبير موشكة على الجنون ..

الأيام تمــر وهى فى بروفيدانس فى ذلك الكــوخ ، تراقب الموج وهو يضرب الشط ..

لا تفعل أى شىء .. فقــط تدخل الكوخ من وقــت لآخر لتجد لافكرافت جالسًا مع البارون يطالعان كتب السحر الأسود العتيقة ، وكان منظر فيرنكزى يثير رعبها .. أقرب شكل بشرى للغيلان .. كما أن علامات التحلل قــد بدأت غزو جلده وسحنته الكريهة . هناك عين قد سقطت من مكانها كاشفة عن محجر فارغ قبيح .. هناك شفة متآكلة وأصابع تساقطت ...

تراه وهــو يمشى فــوق الصخور وأسماله تتطاير من خلفه فلا تصدق أنك تراه فعلاً ..

جاء ذات مرة رجــل عتيق المظهر ، يبدو أقرب لرجال القرن الثامن عشر الذين نراهم فى السينما ، وكــان له ذات السمت المقلق المعــذب . ســمعت الرجلين يناديانه بلقب (مارش) ..

عرفت على الفور أن هذا أوبيد مارش الذى بدأ أسرة كاملة تعبد الآحاد القدامى ..

نظر لها نظرة نارية ، ثم دخل الكوخ ليجتمع مع الآخرين ..

أحيانًا كانتِ تدخل منطقة المقابر القريبة ، وتمشى بين شواهد القبور المتآكلة ..

هنا كانت تــرى راندولف كارتر يجثــو على ركبتيـــه خارج المقبرة ويحاول سماع صوت صديقه الذى غاب داخل القبر ..

عادت إلى الكوخ وجلست فوق الصخور تراقب البحر ..

كان البارون فيرنكزى يقف على الشاطئ ويسكب مسحوقًا من قارورة صغيرة .. يسكبه فى صفوف .. بعض المسحوق يتطاير فى الهواء ليبلغها فكانت تتوارى فى رعب .. تعرف الآن مما يتكون هذا الشىء ..

فيرنكزى يدور حول المسحوق الذى بعثره .. كأنه فلاح فخور يتفقد حقله ..

ثم يقف صائحًا وقد فرد ذراعيه فى الهواء :

« نفروكانا اى حادوث .. نفروكانا اى حادوث .. »

يدوى الرعد فى الجو .. ينهمر المطر ..

ثم يتصاعد دخان أخضر كثيف من الأرض .. لا يمكنك أن ترى يدك ذاتها من كثافة الدخان .. صوت سعال .. هدير الأمواج ... البحر يثور وجبال سود تتصاعد ..

ثم ينقشع الدخان ببطء فتدرك أنها ترى جيشًا من المحاربين .. جيشًا كاملاً يمتد حتى البحر .. تميز هذه الدروع لأنها رأتها فى قصص (استريكس) .. هؤلاء جنود رومان .. جنود رومان مدججون بالسلاح والدروع ..

فقط هناك مشكلة صغيرة هى أنهم بلا رأس ..

فى ظروف معينة قطعت رءوس هذه الكتيبة ، وتحللت الجثث ..

النكرومانسر المحترف لم يجد هذه الرءوس واضطر للعمل من دونها .. مستحيل أن تصدق هذا لكنها تراه ..

هذا الجيش المخيف الذى يتكون من جنود أشداء بلا رأس .. هل هو قادر على مواجهة كتولو فعلاً ؟

ركضت وقلبها يتواثب إلى الكوخ إلى حيث كان لافكرافت عاكفًا على الكتابة كأن ما يدور بالخارج أمر طبيعى معتاد وممل .

ركعت جـوار المنضـدة التى يكتب عليهـا وظلت تلهث حتى استعادت أنفاسها ثم سألته :

ــ « فيرنكزى صديقك .. لقـد استعاد جيشًا مـن محاربى الرومان الذين هلكوا عند سور هادريان .. »

ــ « هذا متوقع .. إنه بحاجة لمقاتلين .. »

ــ « شكلهم مخيف .. لكن هذا لا يعنى أن دروعهم وسيوفهم قادرة على مواجهة كتولو وكل هـذه الكابوريا القادمة من تحت المحيط .. »

هنا توقف عن الكتابة ونظر لها فى جدية :

ــ « هـؤلاء لم يأتوا لمواجهـة كتولو .. هـؤلاء هم جيش كتولو !! »

ارتجفت ووثبت لتقـف على قدميها ونظرت له فى دهشة .. هؤلاء جيش كتولو ؟

ــ « هؤلاء جيش كتولو ؟ »

ــ « هؤلاء جيش كتولو ! »

ــ « هل تعنى أن ... هؤلاء جيش كتولو ؟ »

ـ « هذا ما أعنيه بالضبط .. »

ـ « إذن ما معنى هذا النكرومانسى واستحضار الساحر القديم واستعانتى بك ؟ »

قال لافكرافت بوجهـه الكئيب الذى لا يعكس أى انفعال سوى الرعب :

ـ « ألم تدركى بعد دورك فى هذه القصة ؟... هل تذكرين الورقة التى أعطيتك إياها فى لقائنا الأول ؟.. كانت فيها عبارات .. هل تذكرينها ؟ »

كتولو فتاجن

فنوجلوى مجلوناف كتولو رليه وجانانج فتاجن

ياى نجناه .. يوج سوثوث

هى لجيب

فاى ثرودوج .. يواه .... جيب ليب

زرو

دسميس جيشيت بون دوسيف دوفما انتيموس

لارلياهل سيهويل فلجانجل دا لا .... يها نتلى ...

ــ « كانت هذه هى الكلمات التى تستحضر كتولو لعالم الواقع .. تنقل عالمى كله إلى عالمك . كنت بحاجة إلى شخص قادر على عبور الثغرة بين فانتازيا وعالم الواقع ، وهذا الشخص سيحمل معه الكلمات .. عندها يتغير كل شىء ويبدأ عصر الإرهاب . كل شىء بدأ بعد ما تلوت تلك الكلمات . ألم تفهمى بعد أنك كاهنة كتولو العظمى ؟.. ألم تفهمى أن كل ما يحدث للأرض اليوم هو من صنعك أنت ؟ »

وثبت من جديد كمن لدغتها حية ، وصاحت :

ــ « إذن لماذا جئت بك ؟.. لماذا جلبت لى فرنكزى وأوبيد وكل شخصيات كوابيسك ؟ »

ــ « فى كل ركن من الأرض هناك جزء من قصصى .. سوف تجدين الناس السمك يجوبون المدن الساحلية .. سوف تجدين الذى لا اسم له .. نيارلاثوتيب يمشى وسط القرى المصرية .. الجنود الرومان الذين لا رأس لهم .. بيكمان يرسم لوحاته .. د. مونوز فى غرفته البـاردة الثلجيـة ... آرثر جيرمين يصـل لحقيقة أسلافه .. »

ــ « أنت مجنون ! »

ـ « كل فنان يأمل فى أن يرى العالم وقد تحول إلى صورة كاملة لأوهامه وأحلامه ، وأنا قد نجحت فى ذلك بفضلك .. كنت أرغب فى رؤية السواد فى كل مكان ، وقد فعلت أنت هذا .. »

ـ « لكنك كنت ترتجف خوفًا من هذا اليوم .. »

ـ « لكنى كذلك كنت أتحــرق شوقًا .. ألا تفهمين ؟.. لذة المحرقة النووية التى يحلم بها جنرالات البنتاجون ، وبرغم هذا يخشونها .. أخشى عصر الإرهــاب الذى كتبت عنــه لكنى كذلك أحلم به .. »

كانت هناك سكين ملقاة جوار المنضدة فأمسكت بها واعتصرتها فى عصبية ، ثم هبت نحوه محاولة طعنه ..

بالطبع ما كانت لتقدر ، والأهم هو أنه لم يحرك ساكنًا .. ظل ينظر لها فى ثبات وقال :

ـ « يمكنك قتلى .. أنا ميت فعلاً منذ عام 1937 .. ما ترينه أمامك هو ظل رجل .. ذكرى .. لا أحــد يقدر على قتل ذكرى . سوف أموت ويبقى عالمى للأبد ، وأنت من صنع هــذا العالم .. لقد استمد وجوده منك .. »

كانت موشكة على الجنون .. سقطت المدية من يدها ....

لقد خدعها .. عبث بها وجعلها تأتى بكل هذه الكوارث للعالم ..

اليوم صار العالم مكانًا أروع ، بما فيه من جرائم قتل طقسية ومطاعم تقدم لحم البشر وجنود رومان بلا رءوس ..

كيف كان الناس يشكون حالهم قبل هذا ؟

17 ـ يجب أن نعمل شيئًا ..

وضعت عبير نصل المدية تحت عنقه وضغطت وقالت :

ـ « سوف تكتب .. »

ـ « أكتب ماذا ؟ »

ـ « تكتب عن زوال كتولو .. ســوف تكتب عن زلزال فى المحيط .. هذا الزلزال يؤدى لخلق فجوة ، وهذه الفجوة تبتلع كتولو ليعود كما كان منذ ملايين السنين .. »

ـ « هذا تفكير جيد .. لكن هل تعتقدين أنه كاف ؟ »

ـ « سنجرب .. »

ـ « لو أن هناك نمرًا يتربص بك ، وكتبت أنا عن نمر يجد نفسه فى قفص ، فهل تتوقعين أن يختفى النمر ؟.. لقد صار كتولو خارج نطاق السيطرة أو أحلام الواهمين .. »

ضغطت بالسكين أكثر فقال :

ـ « يمكنك قتلى ولسوف أقضى سعيدًا برغم أننى لا أعتقد أنه من الممكن قتل ذكرى .. عشــت طيلة حياتى أكتب عن عبد الله

الحظرد والعزيف وعالم كتولو .. اليوم تحقق هذا وكتولو سيحكم العالم .. »

كانت تفكر جديًّا ..

كلامه صحيح فعلاً ...

* * *

وهنـــاك وقفـــت على الشط فـــوق صخرة عالية ترمق البحر المتلاطم تحتها ..

هى صارت كاهنة كتولو ..

هى التى جاءت بالآحـــاد القدامى من تحـــت المحيط ليحكموا الأرض ..

« أنت من صنع هذا العالم .. لقد استمد وجوده منك .. »

هو قال هذا ..

« ألم تفهمى بعد أنك كاهنة كتولو العظمى ؟.. ألم تفهمى أن كل ما يحدث للأرض اليوم هو من صنعك أنت ؟ »

لكن معنى هذا أن كل هذا الهول صار مرتبطًا بوجودها هى .. هى التى تحدثه .. هى مصـــدر الوباء . رحلتها المشئومة إلى

فانتازيا هى التى جلبت أهـوال الرجـل ذى الخيـال العبقرى ، لتسكبها على أرضنا المسالمة الوديعة .....

كانت تعرف ما سوف تقوم به ..

الانتحـار عمـل مقيت لكنه قـد يكون أقرب إلى النبل لو كان سينقذ الأرض من عصر الظلام القادم .. لعل الله يغفر لها لأنها أرادت أن تعود الشمس للعالم والرحمة لمخلوقاته ..

سـوف تراهن على أنها مصدر ما يحدث .. تراهن على أنها عندما تمـوت ، سـوف يزول فرينكزى ويغـوص كتولو ثانية ويتحلل أوبيد مارش ويعود الناس السمك لطبيعتهم ..

سوف تراهن على هذا ..

الخطر كل الخطـر ألا تموت ، أو يظـل الكابوس حيًّا ويجد فرينكزى بقاياها ، لهذا سـوف تثب فوق الصخور .. سـوف تتهشم جمجمتها قبل أن يغيب جسدها فى المحيط للأبد ..

أغمضت عينها وتمالكت شجاعتها ، ثم وثبت ....

لن تطول لحظات الألم ..

اصبرى ..

* * *

لكنها شعرت بيد رفيقة تمسك بها ..

هناك من يبعدها عن السقوط ...

تفتح عينيها مذعورة لتجد المرشد .. كان يمسك بها فى حزم وهو يبتسم .. وقال شيئًا على غرار :

ــ « أنت مخبولة تمامًا ! »

ــ « هل تعنى أنى فى فانتازيا أم دنيا الواقع ؟ »

ــ « كل هذا فى فانتازيا .. أنت تعرفين الكابوس داخل كابوس داخل كابوس .. تأثير دروست الرهيب .. أنت لم تعــودى لعالم الواقع قط .. »

ــ « لم تكن هنـــاك بائعـــة ســـمك ولا أم سيدة ولا كتولو فى المحيط ؟ »

ــ « ولا أكلة لحـــم بشـــر ولا مسيرات للنـــاس السمك فى الإسكندرية .. كل هذه مغامرة واحدة طويلة .. »

تنهدت وارتجفت بالبكاء ، ثم قالت فى ارتياح :

ــ « لقد زال عبء ضخم عــن كاهلى .. كنت أمقت لافكرافت ولا أطيق سماع اسمه .. »

ـ « الرجل كان صاحب خيال مخيف معقد فعلاً ، لكنه لم يكن شريرًا .. كان يخشى الشر مثلنا جميعًا .. وحساسيته المفرطة جعلت هذه الفكرة تعذبه ليلاً نهارًا .. »

تنهدت وقالت :

ـ « كان عبقريًّا .. »

ـ « هو وإدجـــار آلان بو عميــدَا الأدب القــوطى .. أما عن أسلوبه فشىء لن تدركيه لأن إجادتك للإنجليزية لا تسمح بفهم مدى عبقريته .. »

كانا يهبطان فوق الصخور ..

ومن بعيد رأت سفينة تنتظر ..

قالت له :

ـ « إلى أين هذه المرة ؟ »

قال وهو يمد يده لها فى رفق :

ـ « إلى جزيرة سانت هيلانه .. لدينا موعد مع جريمة قتل .. »

تمت بحمــــد الله

نادى المحاربين الجدد

نواصل اللقاء مع مواهب القــراء كمـــا اعتدنا ، وهم الذين يحاولون أن يسابقوا الريح بخيولهم كى يجلبوا لفانتازيا أرضًا وآفاقًا أخرى . كما نعرف فإن مملكة فانتازيا لن تنتهى أبدًا لأنها تنمو فى ذات اللحظة التى نكتب فيها عنها .. سأحاول هنا أن أقدم بعضًا مـــن أفضل ما جاء لى فى الفترة الأخيرة من أعمال القراء :

مـــن أفضـــل الأعمـــال التى وصـــلتنى قصـــيدة لفتـــاة قالت إنها فى السابعة عشرة مـــن عمرها ، وقـــد بدا لى رنين الاسم (منة شـــتا) مألوفًا .. فعـــرفت أنهـــا من بســـيون بمحافظة الغربية .. هـــذه هى القصيدة التى نشرتْها فى كـــذا موضع من الإنترنت :

فتيات الربيع

هاته الفتيات اللواتى
نبتنَ على شجراتِ السكاكرْ
هؤلاء البناتِ اللواتى

رسمنَ بأحبارهن الفراشاتِ ملء الدفاترْ
هؤلاء اللواتى يطرن سرورًا إذا ما مشينَ
وحين المزاحِ يقلدن مشى العساكرْ
هؤلاء اللواتى .. اللواتى .. اللواتى
عرفنَ السعادةْ
ومنذ الطفولةِ كن ينمنَ وأحلامُهن بذيلُ الوسادةْ
ينمنَ على الدفء والأمنياتْ
يقمنَ على الحب والأغنياتْ
وكوبُ الحليب .. حلى القصصْ
وضوءُ النهارِ .. ووقتُ الحصصْ
مرورُ الدقائقِ .. صوتُ الجرسْ

ليلعبنَ فى التل وسطَ البناتْ
هؤلاء اللواتى .. اللواتى .. اللواتى
لديهن خلانُ لهوٍ .... وهرةْ
وأوقاتهن امتلت بالمسرةْ
ويضحكنَ طيلَ النهارِ إلى أن
ملأنَ من الفرحِ ألفى جرةْ
يجىء النعاسُ على حين غِرةْ
فيخلدنَ للنومِ والأمنياتْ
فتيات الربيع

* * * *

هؤلاء اللواتى اللواتى اللواتى
لديهن ذات العيون البريئة
بمشيتهن الخجول الجريئة
وأسمارهن التى لا تُمل
ولا تعرفُ الحزنَ ....
.... والاكتئابْ

هؤلاء اللواتى يهبنَ السعادةْ !

ويملكنَ أفياضَ حب لهذى الحياةْ !!

فتيات الربيع !..........

هؤلاء اللواتى .. اللواتى .. اللواتى

هؤلاء اللواتى كبرنَ كثيرًا وصرنَ عرائسْ

يجاهدنَ كى يخلصوا من طباعِ المدارسْ

ويلبسن وجهَ النساءِ الأنيقِ الرزين

وما زال حبرُ الطفولةِ فوق الملابسْ

هؤلاء اللواتى اللواتى اللواتى

عرفنَ المساءَ وضوءَ القمرْ

ولونَ الفَـراشِ وطعمَ المطرْ

وعطر تفتح وزهر تنفس

وقصةُ حب تعرشُ فوقَ القلوبْ

وتُسنمَـعُ من أجلها الـ ....

.... أغنياتْ

فـ تـ ى ا ت .. الـ ر بـ ى ع !!!!

هؤلاء اللواتى

تسابقنَ بينَ الشجرْ

جلسنَ يغنينَ وقتَ السمرْ

....

هؤلاء اللواتى يعشنَ بأعمارهن

ويملكنَ روحَ المرحْ

وليس لديهن ذاكَ الغلاف الحزينْ

وليس لديهن ....

ليس لديهن حين يحل المساءْ

ويستشعرُ المرءُ هذا الحنينَ إلى الذكريات

فليس لديهن هذا التراثَ المريرْ

....

هؤلاء اللواتى عرفنَ الربيعْ

هؤلاء البناتْ

السكر نباتْ

منة شتا

* * * *

قــرأت القصيدة وشعرت بقشعريرة حقيقيــة .. هــذا الجو المرهف الرقيق الذى يذكرك بعالم ورســوم سوزان عليوان ، وخاصة المقاطع التى تطرب لها النفس مثل « اللواتى .. اللواتى .. اللواتى » أو التعبيرات البليغة التى تجمــل صــورة كاملة : « لديهن خلانٌ لهوٍ ...... وهرةٌ .. وأوقاتهن امتلت بالمسرةْ » . هذا هو الشعر كما أعرفه ، وكما يجب أن يكون . لهذا أرسلت أقول لها إننى لا أصدق أنها كاتبة هذا الشعر وأننى (مش راكن الفيــل قدام البيت) إلخ .. فقــط أنا فشلت فى العثور على اسم الشاعر الأصلى الذى تسرق قصائده على شبكة الإنترنت . هنا أرسلت لى المزيد من قصائدها فلم يعــد لدى شك . هى صاحبة هذا الشعر فعلاً ، ولا أنكر أن فتيات الربيع أفضل قصائدها ، لكن كل شعرها ساحر غريب .. خذ هذه القصيدة مثلاً :

أنا العنقاء

أنا العنقاء فى حزنى
وما حزنى سوى مهدى
وما النار التى ألقى
سوى التمهيدِ كى أهدى ..
لهذا الكون در الدر
من شعرى ومن شهدى

وما كل الذى ألقى
سوى طرقٍ على الصلد
سوى دقات مطرقةٍ
تزيد صلابة قدى

أنا العنقاءُ أحرقنى
إلى صنيعة تسدى
أنا العنقاء فاحسدنى
وهل أُملِكتَ فى الدنيا سوى حسدى ؟!

أنا العنقاءُ لا شيء
بكل الأرض يكسرنى
ولدت ربيبة النخلاتِ فى وطنى وفى بلدى
ويبقى شامخًا رأسى

إلى الأبـــدِ
أنا العنقاءُ بنتُ النارِ
أنهض من ثرى جسدى
وأجرع حقد حسادى
لأولد من دجى الحقدِ
أنا العنقاءُ أحزانى تشكلنى
أنا مصرية النزعاتِ والأهواء والعشقِ
أنا العنقاءُ من مثلى سوى نفسى ؟!
أنا منة ..!

جميلة جـــدًّا .. لكن لم أفهـــم بصراحة مقطع « أنـــا العنقاءُ أحرقنى .. إلى صنيعة تســـدى .. أنا العنقـــاءُ فاحسدنى وهـــل أملكتِ فى الدنيا ســـوى حسدى ؟! » . أنصحك يا منة ألا تتقيدى

بالشعر العمودى .. أنت تكونين فى أفضل حالاتك عندما تلتزمين بالتفعيلة لكن ليس طول السطر .. كذلك الألفاظ الخفيفة اليومية أجمل لديك من الألفاظ الجزلة القوية . أعتقد أنك عندما تكتبين الشعر الفخيم مثـــل شعر المدرسة لا تكونين نفســـك .. البساطة الطفولية تناسبكِ أكثر ..

منة اكتشاف رائع .. لم أقرأ شعرًا لقارئ يسبب لى القشعريرة وتطرب له نفسى هكذا ، منذ زمن سحيق . فيما مضى قدمت هنا شاعرة دمنهور الرائعة (هند خالد) صاحبة « وعلى من يدخل مملكتى أن يدخلها بقوانينى » لكنهـــا توقفـــت للأسف .. اكتفتْ بدراســـة الأدب بدلاً مـــن إنتـــاجه ، وهى حاليًّا مدرس للأدب الإنجليزى بالجامعة . ولكنى أتمنى من منة ألا تتوقف أبدًا لأنها خسارة فعلاً .

* * * *

مقال لصديقى باسم سليم أوافق على ما فيـــه ، وقـــد تناول القضية من منظور جديد .. المشرحة تتكلم عن الأحداث المؤسفة التى تعيشها مصر :

نـــداء مـــن المشرحـــة ..

بدأت منذ ثلاثة أيام أحداث جديدة على مصر .. أحداث لم تذكر فى تاريخها كله ..!

أنظر إلى هـذه الأحداث .. وأنظر إلى ثورة 1919 حينما كان شعار الثورة « يحيا الهلال مع الصليب » ..

أنظر إلى أحـــداث اليوم وأنظر إلى أحداث ثورة 25 يناير التى قامت من أجل تحقيق « الحرية والتعبير عن الرأى » ..
هل من قام بهاتين الثورتين مصريون من كوكب آخر .. أم هم المصريون الذين كان أجدادهم فى 1919 .. وكانوا هم من قاموا بثورة 25 يناير ؟!

نعم .. هم ولكن ظهـــرت أفكار جديدة عليهم .. نســـوا فكرة التعايش الذى دعا إليـــه الإسلام .. وفـــكرة الحب والمودة التى دعت إليها المسيحية ..

وهـــذه الأفكار هى « الشماتة » و« العنصرية » و« التصفية العرقية » و« حب النفس على حساب نفس أخرى » .

أنا لا أعلم ما أســباب الأحداث الحالية غيـــر هـــذه الافكار السوداوية التى أصـــبحت مثـــل الدوامـــة تلتهم مبادئنا وإنسانيتنا

بالتدريج .. ولكن ما علاقة هذا الكلام باسم المقالة .. « نداء من المشرحة » ..

إن المشرحة هى العـــامل المشترك الأساسى الذى لم يتغير فى كل الأحداث التاريخية .. ولكن فى كل الأحـــداث السابقة عــدو مشترك يقف أمامه الجميع ..

يذهب الجميع إلى المشرحة لاســتلام ضحايا وشهداء هــذا الحدث الذين ضحوا بأنفسهم من أجل قضية واحدة ..

أما اليوم تذهب إلى المشرحة لتجد جدالاً كبيرًا (خناقة بالكلام) على بوابتها .. فهذا يقول أن ضحيتى هــو من كان على حق .. وأنه كان ينادى بالشرعية والدين الإسلامى الحق .. ومن من قتله كفار فى جهنم وبئس المصير !!

وهذا يقول أن ضحيتى هو جندى مصرى كـــان يريد مصلحة الوطن وحمايته من الإرهابيين .. وإن مـــن قتله فى جهنم وبئس المصير !!

وهذا يقول أن ضحيته هو مسيحى وذنبه أنه مسيحى ويريد حقه فى وطنه .. وأن من قتله فى جهنم وبئس المصير !!

وهذا يشمت فى هــذا .. وهذا يشمت فى هذا .. وهذا يشمت فى هذا !

وينسون أن ضحاياهم ليس لهم قضية بل هم أشخاص يتبعون الأوامر مــن حيوانات بشــرية مات ضميرها .. واستيقظ حبها لنشر الدم والفتنة !

ويتحول الجدال إلى مشاجرة (خناقة كبيرة) .. ويصبح من كان يريد استلام جثــة .. هــو جثــة يأتى آخر لكى يستلمها .. وتدور الدائرة مرة أخرى !!

أنا ومثلى قليلون (كارهو الدم) نريد أن نعلم أين هى القضية التى أشعلت الفتنـــة .. وجعلت مســلم يكفر مســلمًا .. وجعلت من مسلم آخــر إرهابيًّا .. وجعلت المسيحى لا يعلم أيــن الحق فى أرض المواطنـــة .. وجعلت المصرى شخصــية (شماتة) (عدوة للإنسانية) و(محبة للدمار والدم) ..

وهنا تتحدث المشرحة بندائها ..

نداء من المشرحة ..

أفيقوا يا أهل الكنانة ..

أنا لا أريد أحد داخلى مغيبًا بدون قضية .. يتبع أهواء آخرين يريدون هم السلطة .. ولا يريدون المنفعة ..

أفيقوا يا أهل الكنانة ..

إنها مصر المحروسة التى جعلت العالم كله يُلقبها بأم الدنيا .. ومقبرة الغـزاة .. فلا تجعلوا من أنفسكم غـزاة .. ولا تجعلوا أنفسكم بنـادق فى أيادى أعدائكم .. الذين لا يريدون إلا ما أنتم عليه الآن !! «

نداء من المشرحة ..

أفيقـوا ..

فأنا بيت الدم ولا أريد أحد داخلى بدون قضية يجعل من أمه (أم المقتول) ويجعل من ابنه (يتيم) !!

أفيقوا يا من نسيتم الإنسـانية وجعلتم من أنفسكم ضـباعًا تأكل فى لحم الميت .. وتتحدث وكأنها إله يعلم أين الحق .. وأين الباطل ؟!

وإذا كنتم تريدون حق .. أنا لست بيت الحق .. أنا بيت الدم ! ومن بداخلى بدون قضية .. فما هـو إلا مقتـول لعنصريته .. وعنصرية أناس آخرين ..

أفيقـــوا ..!

باسم سليم

* * * *

هناك قصص رعب لباسم سليم أقدم لك واحدة منها بعد ضبط بعض القواعد واللغة :

التجـربه الأولى ..

الاســم : أحمــد النجــار ..

المكان : شاليه الإسكندرية ..

صدقونى والله العظيم بقول الحقيقة !..

لم أعهد يومًا أحمد (النجار) كذابًا ، أو من النوع الذى يختلق القصص والروايات الزائفة حتى يلفت الانتبــاه إليه . فشخصية (النجار) معجونة بالثقة فى النفس والقــوة والصلابة ، تركيبة ألفناها مــن خلال معرفتنا به ، منــذ سنين ، وأيــام السهر فى عز الصيف .

ولكن هذه المرة ما قاله يعد غير مقبول ، ولا يمكن تصديقه ، وخارج عن نطاق الاستيعاب . ولكنه (النجار) .. صاحب روح الفكاهة ولكنه لا يكذب ..

يقول أحمد (النجار) :

ليلة البارحة وأثناء سهرى فى البيت وحدى بعد أن عدتم إلى بيوتكم جميعًا ، جلست أشاهد التلفزيون ، ثم سرعان ما شعرت بالملل ، لاسيما وأننى لا أنام إلا مع بزوغ خيوط الفجر الأولى ، فكما تعلمون هذه هى حالى منذ أن أصبحت مصر بهذا الشكل فلا أقدر على الذهاب إلى عملى لأنه ببساطة لا يوجد عمل ومنذ حينها وأنا أعيش يومى بلا هدف بانتظار الرد من إدارة الشركة لكى أذهب مرة أخرى .

وبين التنقل بالريموت كنترول بين قنوات التلفزيون من محطات أغانى وأفلام إلى أخبار وبرامج تافهة ، تساءلت كيف سأضيع ليلتى هذه والليل لا يزال فى أوله . كانت عقارب الساعة تشير للثانية عشر والنصف بعد منتصف الليل حين قررت أن أسحب مفتاح السيارة وأرتدى ملابسى وأنطلق إلى

الشاليه فى الإسكندرية . لا تسألونى من أين جاء هـذا القرار ، خاصة وأن جميعكم لستم متفرغين للذهاب معى فكل منكم لديه عمله أو جامعته فى الصباح الباكر .

انطلقت بالسيارة على سرعـة 100 كم فى السـاعة . وأنا أستمع لبعض الأغانى أو أتحدث بالتليفون مع خطيبتى .

وبعد مشادة حـادة بينى وبينها ، قفلت الخـط وقررت ألا أرد عليها ، مع أنها ظلت تتصـل حتى وصلت إلى الشاليه . اتصلت بهاتف البواب ، ولكنه مغلق ، ظللت أتصل ، ولكن ما من مجيب ، وهنا فقط تذكرت بأن البواب سافر قبل أسبوع إلى بلده .

ترجلت من السـيارة ، وفتحت البوابة ودخلـت بسيارتى إلى ساحة الشاليه الداخلية . كـان الظـلام دامسًا ، ولا شىء يعكر هدوء المكان سـوى هدير الموج الذى كان مدا فى تلك الليلة . نزلت من السيارة ولم أقفـل أبوابها ، فليس هناك من أحد يفكر بأن يسرقها أو حتى يمر بقربها . فهـذا الوقت من السنة تكون العوائل مشغولة مع أبنائها فى الدراسة لاختبارات نهاية العام ، وتكون منطقة الشاليهات تقريبًا شبه مهجورة .

وضعت المفتاح فى باب صالة الشاليه ، أدرته بهدوء ودخلت . فتحت الإضاءة وشغلت الكهرباء ، ثم فتحت التلفزيون ووضعت هاتفى والمفاتيح على الطاولة الصغيرة وسط الصالة .

وعلى صوت الأغانى المنبعثة من إحدى محطات الأغانى على التلفزيون بدأت أتجول فى الشاليه وأعـد لى وجبـة خفيفة فى المطبخ . ثم خرجت لأطل على البحر ، فقـد كان المنظر خلابا ، وبنظرة سريعة على الشاليهات المجاورة تيقنت بأننى الليلة وحدى بعيدًا عـن الهم وبعيدًا عن كل الناس . عدت لصالة الشاليه ، وجلست أشاهد التلفزيون . رن تلفونى النقـال ، ودون أن أنظر عرفت بأن المتصل خطيبتى ، وفعلاً نظرت فوجدت اسمها على الشاشة ، لم أرد عليها ، وظلت تتصل حوالى أربع أو خمس مرات متتالية ولكننى لم أرد عليها فقد كنت متضايقًا منها .

مر الوقـت ، تقريبًا نصـف سـاعة أو أكثـر ، وأنا أشاهد التلفزيون وآكل بعض الفاكهة . وفجأة سمعت رنة صفارة من تليفونى .. صفارة كالتى تسمعها عندما يصلك بلوتوث من أحد . استغربت .. نظـرت لشاشة تليفونى فصدمت ! شخص ما يرسل

لى بلوتوث فى منتصف الليـل فى منطقة شـبه مهجورة بعيدًا عن الديرة . دققت فى اسم المرسل فكان (أنا شايفك) !..

أنا شايفك !.. مين ده ؟ وماذا يفعل هنا فى هذا الوقت المتأخر ، اعتقدت فى البداية بأنه أحـد منكم ، ربما يكون مقلبًا أو مزحة ثقيلة تعدونها لى ، ولكن كيـف عرفتـم بأننى ذاهب للشاليه ؟ فلا أحد يعلم بأننى هنا سوى صديقتى !

قـد يكون أحـدًا من الجيران ؟ ولكننى متأكد بأن الشاليهات المجاورة خالية تمامًا من أى مخلـوق ، إذًا كيف وصل هـذا البلوتوث ؟..

استقبلت .. وانتظرت ثوانى حتى أعرف ما محتوى الرسالة . وصلت الرسالة .. فتحتها ... وفجأة .. كانت الصدمة الكبرى .. كانت صورة لى التقطت قبـل دقائق من وصول البلوتوث وأنا جالس فى صالة الشاليه آكل فاكهة ..!

صعقت ، ونهضت من مكانى .. شخص ما صورنى من وراء نافذة الشاليه وبعث لى بالصورة عن طريق البلوتوث .

اتجهت نحو نافذة الصالة ، نظــرت .. فلم أجــد أحدًا .. هنا شككت أن يكون أحد من إخوتى قد أتى للشاليه فوجدنى فحب أن يعمل فى مقلب . ولكننى استبعدت هذا الشىء تمامًا خاصة وأن اليــوم هو الاثنين أى فى منتصف الأسبوع والساعة قاربت على الثالثة صباحًا والكــل نيــام فى البيــت استعدادًا لأشغالهم فى السابعة صباحًا !..

إذًا من يكون ؟ صديقتى ؟ لا مستحيل ، إنها بالكاد تخرج من البيت وإن خرجت فإن حظر التجــول عليها يبــدأ من الساعة العاشرة مســاء ، ولديها بدل الأخ خمســة ، أى لا أمل لها فى التسلل والخروج ليلاً ، ثم إنها لا تعــرف طريق شاليهنا فهى تسمع به ولكنها لم تزره مطلقًا !

أسرعت نحــو البــاب وخرجت ، وبخطوات هادئة ثم سرعان ما صرت أدور حول الشاليه ، أبحث عن أى أثر أو صوت أو حتى طبعات لخطوات أرجل . ولكننى لم أجد شيئا ، كان الظلام دامسًا ، ولا نور ينير المكان سوى ضوء القمر المكتمل فى صدر السماء ، ونور صالة الشاليه الذى يتسلل من وراء ستائر النوافذ .

احترت ، من المرسل ؟ من الذى صورنى وأرسل لى صورتى ثم اختفى فجأة ، إنه مقلب .. أكيد مقلب .. مستحيل هذا يحدث دون تدبير وتخطيط ..

فتحت تليفونى بسرعــــة ، وعملت بحث سريع لأسماء أجهزة الهواتف الموجودة فى البلوتوث ، وكان الرد .. لم يتم العثور على أجهزة بلوتوث ، حاول مرة أخرى !..

وقفت لبرهة أفكر محاولاً فهم الموقف ، ترى هل هو مقلب ؟ أم !..
فجأة .

وصلنى بلوتوث آخر .. المرسل .. (أنا شايفك)

استقبلت دون تفكير ، ثوان ووصلت الرســـالة .. فتحتها .. وكانت الصورة .. صورتى !

نعم صورتى وأنا أقف خارج الشاليه التقطت لى قبل لحظات وأنا أبحث عن المصدر المرسل للبلوتوث ..!

التفت ورائى بسرعة ، أبحث وأبحث دون هوادة .. لا بد أنه كمين ، مقلب من أحدكم ، مستحيل ما يحدث لى ، مستحيل أن

يتم تصويرى دون أن أشعر أو أن يرسل لى أحد بلوتوث دون أن أحس بوجوده فى المكان ، يا جماعة قصة لا تدخل العقل .

دخلت لداخل الشاليه وأنا أحاول أن أتصل بواحد فيكم .. ولكن لم يرد على أحد .. شيء طبيعى فالساعة قاربت على الرابعة فجرًا ..

جلست أفــكر ، كتمت صــوت التلفزيون ، ورحت أقرأ بعض الآيات القرآنية على أمل أن أهدئ من روعى قليلاً وأجد تفسيرًا منطقيًا . هنا فكرت بالنزول للبحر فربما أجـد بعض الشباب من الشاليهات القريبة يصطادون فى هذا الوقت ، شباب لا عمل لهم مثلى ويريدون ملء وقت الفراغ ، وربما يريدون أن يتسلوا بى .

خرجت ومشيت على رمــل الشاطئ ونور القمر دليلى فى هذه الليــلة المظلمــة ، أطل وأبحث وأمعن السمع لعلى أمسك خيطًا يوصلنى لنتيجــة تمحى أوهامى التى زرعــت فى رأسى بعد ما حدث معى .

وعلى بعد عشرين متر من الشاليه ، شهقت فزعًا وأنا أسمع صوت التلفزيون داخل الشاليه وقد انطلق فى فضاء الليل الهادئ وعلا ضجيجه فى كل مكان ، كانت أغنيــة أجنبيــة ، وكانت

مزعجة جـــدًا . ركضت إلى الشاليه مسرعًا ، وكل ظنى أن أحدًا وصل إلى هنـــاك . ركضت وركضت وأنا أقع وأنهض من ثقل التراب الذى تنغمس فيـــه رجلى على غير هـــدى وكأننى ضائع ووجد ضالته .

دخلت الشاليه .. التلفزيون شغال ، الصوت عال بطريقة غير طبيعية ، وكل شىء فى مكانه مثل ما هو . أغلقت التلفاز ، تلفت حولى أبحث عن أحد ، أبحث فى الغرف ، فى الحمام ، فى ساحة الشاليه .. لا أحد .. لا أحد ..

وفجـــأة .. انفتحت أضـــواء السيارة الأمامية .. انفتح كشافها العالى ، أحسست بعينى يكاد يصيبهما العمى ، صرخت :

ــ مين ؟ .. مين ؟

وبدل أن يجيبنى أحـــد أخذت إضاءة السيارة تنطفئ ثم تنفتح مرة أخرى ، وتنفتح ثم تنطفئ مـــرة أخـــرى .. وأنا لا أستطيع أن أميز شكل الشخص الذى كـــان داخلها . وبعـــد لحظات قليلة مرت كالدهر. ترجل من السيارة رجل طويل القـــامة ، يا جماعة طويل بطريقة مريبة . يرتدى جاكت أســـود فى عز الصيف .

وكان أسود اللون ، ولكن وجهه يميـل للزرقـة كالمخنوق ، وكانت عينـاه ناعستين . أحسـست بأن قدمـاى لا تحملانى ، وشـعرت بكل وصـلة فى جسـدى ترجـف ودقات قلبى تكاد تنتزعه من مكانه وأكـاد أراه يسقط أمامى على الأرض من شدة الرعب .

تقدمت خطوة على أمل أن أشعر الرجل بشجاعتى وبأننى لست خائفًا منه ، قلت وصوتى لا أكاد أسمعه من رهبتى :

ـ اؤمر يا صاحبى .. أقدر أساعدك فى حاجه ؟

نظر لى صامتًا واجمًا ، ثم صد عنى وسار نحو بوابة الشاليه ، ظل يسير ويسير حتى أقسم أننى رأيته يختفى فى الظلمة .

ودون تفـكير منى دخلت الشاليه بسرعـة أبحث عن تليفونى ومفاتيحى . سحبتهم من فوق الطاولة وخرجت بسرعة ، ركبت السيارة وانطلقت هاربًا وأنا لا أكـاد أصدق عينى . وفى الطريق فتحت الإذاعة على القرآن الكريم وأنا أهلوس بينى وبين نفسى .. هل ما رأته عيناى صحيح ؟ هـل كان جن ؟ هل كان أنس ؟ هل

كان من أهل الأرض ؟ ماذا كان هذا الرجل ؟ ومن أين أتى ؟ وماذا كان يريد ؟

أمسكت تليفونى ، فكرت أتصل بالشرطة ولكن ماذا أقول لهم ؟ فكرت أتصل بإخوتى .. أتصل على أحـــد منكم ولكن من سيجيب على فى هذه الساعة ؟

انطلقت عجــلات سيارتى فى الخـــط السريع على غير هدى ، وعلى أثير إذاعة القرآن الكريم . بينما أخذ الفجر يرسم خطوطه الأولى فى السماء معلنًا نهاية ليلة غريبة وبداية يوم جديد .

أخذ الأصدقاء يهزون رأسهم غير مصدقين ونحن نجتمع فى القهوه بقرب بيت أحمد ، وبدأت التعليقات والنكات تنهال عليه وهو يطرق رأسه فى الأرض وكأن لسان حاله يقول : علمت بأن لا أحد سيصدقنى . الجميع ظـــن بأن أحمـــد يتوهم أو ربما هو يدعى ما سرده علينا من قصة لا تدخل العقـــل حتى لا نطالبه بالمزيد من الرحلات إلى شاليهم والنـــوم هناك كمـــا اعتدنا كل صيف . ولكن شىء ما فى داخلى كـــان يشك بأن قصـــة أحمد حقيقية ، وأن هناك شيئًا مفقـــودًا بالقصة لم يذكره أحمد يؤكد كلامه ولكن لسبب ما آثر على كتمانه !..

جلس الجميع فى جلسة دائرية يلعبون الكوتشينه ، وأحمد من ضمنهم . لا أعرف ما الذى جعلنى أسحب تليفــون أحمد وأبحث فيه .. دخلت على ستوديو الصور ، وأول صورة ظهرت لى .. كانت لرجل أسود اللون يرتدى جاكت أسود ، ووجهه يميل للزرقة كالمخنوق ، وعيناه ناعستان ، الصورة التقطت فى شاليه أحمد .. بتاريخ أمس !

صدقونى والله العظيم بقول الحقيقة !..

باسم سليم

* * * *

الفــكرة جميلة وتداعــب هاجس البارانويا الكامن فينا .. ماذا لو كان هناك من يلتقــط لى الصور فى هــذه اللحظة بالذات ؟.. راق لى كذلك جــو الأصدقاء الذين يصغون لقصة أحدهم وهــو تكوين شهير فى قصص جى دى موباسان ..

* * * *

هناك قصتان من صديق اسمه (إبراهيم محمود سنهابى) ، قابلتــه فى ندوة ووعدته بأن أنشر القصتين فى كتيب فانتازيا ،

لكن مشكلة الأعمال المكتوبة باليد هى أنها مرهقة لى فى إعادة نسخها خاصة أن الخط غير واضح ، وتعاملى مع المؤسسة صار رقميًا بالكامل فلا مكـــان لأوراق مكتـــوبة باليـــد يعيدون نسخها هناك . لهذا أنا لم أحنث بوعـــدى يا إبراهيم لكنى أنتظر نسخة رقمية تصلنى على البريد الإلكترونى . اتفقنا ؟

أعتقد أننى سأتوقف هنا . ما زال هناك جبل من أعمال القراء ، لكن لابد من أن يتوقف المـــرء فى نقطة ما . نلتقى فى الكتيب القادم إن شاء الله .

د. أحمد خالد توفيق

فانتازيا

مغامرات ممتعة
من أرض الخيال

روايات مصرية للجيب

فى كل رواية متعة دائمة







.. الحقيقة هى أن الإنسان يحب أن يخيف نفسه .. لا شك فى هـذا .. تأملى الأطفـال الملتفيـن حول جداتهم يطلبون سماع المزيد من القصص عن الغولة و(أبو رجل مسلوخة)... دعى أى شخص يسمع طرفًا من قصة مرعبة وراقبى اهتمامه .. إن سماع قصص الرعب يشعرنا باطمئنان داخلى على أنفسنا، فنحن نرتاد أفظع مخاوفنا لكننا نعرف أننا سنظل سالمين ...

28 / 12 / 013

العدد القادم

من قتل الإمبراطور ؟








روائع مجلة
الابتسامة
من الكتب
المعالجة
والصفحات الفردية